دلالات الهجرة العظيمة

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٥٦

الوعـــي

العدد (١٥٦) ـ السنة الرابعة عشرة ـ محـرم ١٤٢١هـ ـ نيسـان ٢٠٠٠م

العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية روحية سياسية

هل أباح القرضاوي الربا ؟

لا يجوز فصل العقيدة الإسلامية عن شريعتها

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾

الجهاد في الكتاب والسنة

سلام الهون (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة الرابعة عشرة – ١٥٦

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

إقرأ في هذا العدد (١٥٦)

ص

- كلمة الوعي: لا يجوز فصل العقيدة الإسلامية عن شريعتها ٣
- العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية روحية سياسية ٥
- مصطلحات حديثة في الاقتصاد ١٠
- مع القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أظلمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ﴾ ١١
- في رحاب السيرة النبوية الشريفة: دلالات الهجرة العظيمة ١٤
- أخبار المسلمين في العالم ١٧
- هل أباح القرضاوي الربا ؟ ٢١
- الجهاد من خلال النصوص الشرعية ٢٦
- سَلامُ الهُون (قصيدة) ٣٤
- كلمة أخيرة: الخطوط السياسية ٣٥

المراسلات

ألمانيا

N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالاً

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : **Canada**
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www. al-waie.org

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا **U.S.A**
AL - WAIE
P.O.Box 370782
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

لا يجوز فصل العقيدة الإسلامية عن شريعتها

إن العقيدة الإسلامية هي فكر أساسي تنبثق منه الشريعة الإسلامية، فهي فرع منه ولا يمكن فصلها عنه. إذ في فصل الشريعة عن عقيدتها تجريد لها من فاعليتها وحيويتها. ولا يُلجأ إلى ذلك إلا إذا كانت العقيدة الإسلامية غير صالحة، فأفرزت شريعة غير صالحة، فاحتاج المؤمنون بها إلى الاستعانة بغيرها ليسدّوا النقص الذي فيها؛ وهذا غير صحيح. أو كان المؤمنون بها فيهم من الضعف في فهم الشريعة ما يجعلهم بحاجة إلى الاستعانة بالأنظمة الأخرى ليسدّوا هذا النقص؛ وهذا غير صحيح. فالعيب يكون عندها في المسلمين، وليس في الإسلام.

إن العقيدة الإسلامية تقوم على الإيمان باله الخالق المدبر، والمسلم يؤمن بأن الله الذي خلق يعلم ما خلق، ويعلم ما يصلح الإنسان وما يصلح له، وما لا يصلحه وما لا يصلح له. والعقيدة الإسلامية عقيدة إنسانية والشريعة الإسلامية شريعة إنسانية تصلح لكل إنسان بغض النظر عن لونه أو عرقه أو أي اعتبار آخر، وبغض النظر عن المكان الذي يعيش فيه، أو الزمان الذي يحيا فيه. فهي تتناول معالجة حاجات الإنسان وغرائزه، فتعالجه كفرد، وتعالجه كعضو في جماعة إنسانية، وتعالجه كعضو في مجتمع، وتعالجه كفرد من رعية الدولة، وتحدد للدولة الإسلامية وظيفتها الرعائية، وتحدد لها أهدافها، وتحدد لها شكلها، وتحدد لها علاقاتها بغيرها من الدول؛ لذلك اشتهر على لسان جميع المسلمين أن الإسلام لم يترك باباً من أبواب الخير أو الشر إلا ودلنا عليه. واشتهر عند المسلمين وعند كثير من غير المسلمين أن الإسلام دين منه الدولة، وأنه عقيدة وشريعة.

والإسلام هو الذي يحدد العلاقات، وينشئ الواقع الذي تنتظم فيه الأهداف، ويعمل على توسيع ذلك حتى يشمل الكرة الأرضية كلها، ويكون الدين كله لله. ولا يمكن للعلاقات هذه أو الأنظمة أن يحددها أو يفرضها الواقع أو ما يسمى بالتطور. فلا يقال إن وقائع الحياة تطورت وأصبحت تفرض علينا أشكالاً من التعامل لا مهرب منها. هذا ما يحاول الغرب أن يضلل به المسلمين ويقنعهم بأن البشرية وصلت إلى مرحلة تفرض على البشر إقامة نظام عالمي واحد، واعتبار العالم كله كأنه دولة واحدة، وعولمة الشركات الكبرى بحيث تتوسع ويصبح لها فروع في كل دول العالم، أي جعل الدول كلها كأنها دولة اقتصادية واحدة يسيطر عليها النظام الاقتصادي الغربي، ومن ثم اشتراع القوانين الدولية التي تؤمن للغرب السيطرة الاقتصادية والفكرية والسياسية على دول العالم، وإذا خرج أحد عنها عوقب بتهمة الخروج على القانون الدولي، فتقود أميركا والغرب العالم كله لمحاربته. والعالم يقف عاجزاً مقهوراً لا يستطيع الخروج من الحلقة التي وُضع فيها. لقد أوهِم العالمُ كله بهذه الفكرة، وما يُرى من رفض واحتجاج إنما هو رفض شكلي وليس حقيقياً، رفضٌ يعَبّر عن الشعور بالقهر الفكري والاقتصادي والسياسي والعسكري، لأن هؤلاء الرافضين لا ينطلقون من قناعات مبدئية يرون معها فساد الرأسمالية ومحاولتها الهيمنة على العالم باسم العولمة.

والحق أن الإنسان هو الذي يطبق النظام الذي يريد، وليس الواقع هو الذي يفرض على الإنسان النظام الذي يجب أن يطبقه، أو أن سنّة التطوّر هي التي تفرض النظام على الإنسان. فالواقع لا يفرز سوى مشاكل وحوادث تحتاج إلى حل. وحلها قد يكون بالنظام الرأسمالي، وقد يكون بالنظام الإسلامي، وقد يكون بغيرهما. ولكن النظام الصحيح مرهون بالعقيدة الصحيحة. وليس من مبدأ صحيح بعقيدته وشريعته سوى الإسلام.

والإسلام يفرض على المسلمين أن يأخذوا عقيدته، ويجعلوا شريعتهم منبثقة من هذه العقيدة ولا تخرج عنها. وأن يصوغوا حياتهم ويلونوها على أساس منها. وليس للتطور ولا للمكان ولا للزمان، ولا للعادات والأعراف السابقة أو السائدة أي تأثير في الشريعة الإسلامية متى أراد المسلمون تطبيقها. بل إن ما وصل إليه العالم اليوم من تقدم مادي واختراعات مذهلة استطاعت أن تقصّر المسافات، وتختصر الزمن، وتمكّن الإنسان من تجاوز الحدود... إن كل هذا لا يفرض نوع النظام. فالدولة الإسلامية إذا قامت على العقيدة الإسلامية تستطيع أن تستفيد من كل هذا التقدم العلمي من أجل تطبيق عقيدتها ونظامها ونشرهما، لا بالقوة والقسر والظلم كما يفعل الغرب اليوم، بل بالحجة والإقناع بعد إزالة الحواجز المادية التي تعترض سبيل الدعوة، وذلك كما فعل المسلمون بالأمس، وكما هو مطلوب منهم أن يفعلوا اليوم.

إن العالم إذا انخدع بمقولات الغرب الخادعة، أو خضع لها؛ فلأنه فارغ فكرياً ولا يملك أي فكر مبدئي يواجه به هذا الغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي والسياسي والعسكري الجارف. وإذا ملك فإنه يملك شتات أفكار سرعان ما تنهزم. أما المسلمون فإنهم هم المرشحون للمواجهة، ولكشف الزيف، وإحقاق الحق؛ وذلك لأنهم يحملون المبدأ الصحيح الذي يستطيع أن يهزم المبدأ الرأسمالي الظالم الاستعماري الذي يصطلي العالم بشروره، ويتشوّق للخلاص منه.

فالمبدأ الإسلامي يوافق فطرة الإنسان ويُقنع عقله. وهو كما نجح في إسعاد البشرية من قبل، فإنه ما زال مرشحاً لأن يقوم بنفس ما قام به من قبل. فالإنسان هو الإنسان لم يتغير، والنظام الإسلامي المنبثق من عقيدته، الذي أسعد الإنسان من قبل ما زال هو ذاته. والإسلام يستطيع بمصادره الشرعية أن يحلّ كل المشاكل التي تعترض الإنسان، مهما استجدت وتشعبت وتوسعت وتعقدت. فقد توسعت الدولة الإسلامية من قبل، وكثر عدد المسلمين، وتشعبت طرائق حياتهم، وتعقدت العلاقات عما كانت من قبل، واستجدت مشاكل لم تكن من قبل، وبقيت الدولة الإسلامية وعلماء المسلمين يحلّون مشاكل الناس في مختلف العصور على أساس طريقة الإسلام في الاجتهاد، المنضبطة بأصول الإسلام الثابتة وقواعده. ولم تظهر فكرة أن الإسلام عاجز عن مسايرة الزمن، أو أنه لا يستطيع استيعاب مشاكل الحياة المستجدة إلا مع الغزو الفكري والسياسي والعسكري الغربي لبلاد المسلمين. فقد وصل المسلمون وقتها، إلى حالة من الضعف شديدة في فهم الإسلام وتطبيقه، وانهزموا أمام ادعاءات الغرب، وراح علماؤهم يدافعون عن الإسلام بطريقة خطأ، فطرحوا أن الإسلام مَرن، وأن الشريعة متطورة، وأجازوا أخذ أنظمة الغرب بحجة أنها من الإسلام أو أنها لا تخالف الإسلام، أو أنها توافق الإسلام... وهكذا انفصلت الشريعة الإسلامية عن عقيدتها، وأبعدت فكرة الدولة الإسلامية التي تطبق هذه الشريعة عن الأذهان. ولم تعد حياة المسلمين قائمة على أساس الإيمان بالله.

إن هذا الفصل بين العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية المنبثقة منها يجب أن يتنبه له الدعاة المسلمون، وأن لا ينخدعوا به وأن لا يطرحوا الإسلام بشكل خطأ كما فعلوا من قبل، فإن في هذا الانخداع خدمة لأعدائهم وإطالة لعمر هؤلاء الأعداء. ويجب أن يدركوا أن ما يواجه مجتمعاتهم اليوم من مشاكل تحتاج إلى حلول، ليست هي مشاكل الإسلام بل هي مشاكل أفرزها تطبيق النظام الرأسمالي قسراً على المسلمين، وأن لا ينظروا إلى إصلاح ما اعوج من ممارسات وأنظمة مطبقة عليهم، وأن لا يشتغلوا بالترقيع، وأن لا يُدخلوا شريعة في شريعة، ولا يعتمدوا على الحلول الوسط، بل عليهم أن يسعوا إلى تطبيق النظام الإسلامي المنبثق من عقيدته التي تقوم على «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أي لا خالق ولا مدبر إلا الله، ولا مطاع بحق إلاّ الله. والشريعة هي الوحي الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ وبيّن فيه كيف تكون طاعة الله. أما الفصل بين العقيدة والشريعة فإنه يعني أن المسلم يقول: لا يطاع بحق إلاّ الله، ثم نراه يطبّق عليه نظام ليس فيه طاعة لله. لذلك كان الواجب على دعاة المسلمين أن يتنبهوا إلى الصلة الوثيقة القائمة بين العقيدة الإسلامية وما انبثق عنها من شريعة حتى يَخرجوا من ذل ما هم فيه، ويُخرجوا العالم كله معهم. ويضعوا حداً لما يسمونه اليوم بالعولمة الظالمة، ويشكلوا بديلاً صالحاً منها ❑

العقيدة الإسلامية
عقيدة عقلية روحية سياسية

يقوم الإسلام على «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» فهي القاعدة والأساس لكافة تشريعاته وأفكاره وسائر عقائده، وهي قيادته الفكرية.

وهي عقيدة عقلية وروحية وسياسية.

هي **عقلية** لأن البحث العقلي يوجب أخذها والتسليم بها، فهي تقدم للناس تفسيراً لهم ولكل ما حولهم وما فيهم. وهو تفسير مبني على أدلة وبراهين قاطعة، وليس مجرد تفسير يوفّق بين بعض الظواهر أو كلها، وإنما هو تفسير تؤدي إليه وتُلزم به الأشياء والحوادث والحقائق الموجودة في هذا الكون إذا نُظر إليها وفيها نظراً عقلياً صحيحاً.

وهي عقيدة **روحية** لأن هذا التفسير يقوم على الإيمان بالله سبحانه، وبالغيب. فالمحسوسات والمادة ليست أزلية، وإنما هي مخلوقة من عدم، خلقها الله سبحانه، الذي خلقها وخلق غيرها مما لا يقع تحت الحس كالجنة والنار والملائكة والشياطين، والذي أمر بطاعته والتزام أمره.

وهي عقيدة **سياسية**، إذ صلة الخلق والإيجاد من عدم ليست الصلة الوحيدة بين الخالق والمخلوق. فهناك رسالة جاء بها النبي «محمد رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم من الله إلى البشر تأمرهم وتنهاهم وتتدخل في شؤون حياتهم كافة: حركاتهم وسكناتهم، أفراداً وجماعةً وجماعات. فأوامر الله ونواهيه، سبحانه وتعالى، تتناول الاعتقاد وتتناول كيفية تسيير شؤون الحياة في العبادات والعلاقات والحكم والقضاء وحمل الدعوة.

أما من حيث هي عقيدة عقلية فلم يدخل النقص على المسلمين من هذه الجهة، وما تعرَّضوا ويتعرضون له هو من طبيعة الصراع وسنته بين الحق والباطل، حيث إن دعاة الحق يمتلكون الحجج والبراهين الصحيحة، ويلفتون النظر إلى الحقائق. أما أهل الباطل فيحرفون النظر عن الحقائق ويطمسونها، وينشرون الضلالات ويوهمون بأنها حقائق، ويعمدون إلى تعطيل التفكير وجعل الناس يلهثون خلف الأوهام وتوافه الأمور. وإنما دخل النقص على العقيدة من حيث هي عقيدة سياسية وعقيدة روحية.

فمن جهة كونها سياسية استطاع الكفار أن يحرفوا المسلمين عن دينهم وينحطوا بهم إلى أن يهدموا دولتهم ويمزقوهم إلى دويلات عميلة. وجعلوهم يتمسكون بهذا التمزيق وينادون بالديمقراطية وبفصل الدين عن الحياة، ولا يفهمون من الإسلام إلا أنه دين كهنوتي، أو أنه صلة فردية خاصة بين الإنسان وخالقه. فتمسك المسلمون بأفكار الكفر ونظروا إلى الكفار نظرة احترام وتقدير، وأنهم أهل تقدم وحضارة، وأنهم مَثَلٌ يحتذى.

ونحن نشهد اليوم تنبهاً واضحاً عند المسلمين نحو الإسلام كعقيدة سياسية، كعقيدة ينبثق عنها نظام لكافة شؤون الحياة، وليس فقط شؤون العبادات. ونلمس بوضوح تحرك المسلمين وتحفزّهم لإقامة دولة الإسلام، دولة

الخلافة، وتطبيق نظام الإسلام. فقد شهد النصف الثاني من هذا القرن بدء هذه اليقظة التي عمت العالم الإسلامي بأسره والحمد لله.

إلا أن هذا التنبه أو هذه الصحوة فيها دَخَنٌ، ذلك أن رؤوس الكفر وملأهم يرعبهم ويقضُّ مضجعهم عودةُ الإسلام كحضارة وكنظام سياسي. فبعد أن هُزموا أمام صحوة المسلمين على الإسلام كعقيدة سياسية عمدوا إلى سياسات ومناورات للتضليل ـ لسنا بصدد تفنيدها ـ منها عدم مواجهة هذه الفكرة صراحةً ولكن تحريف الأفكار والمفاهيم والأحكام الإسلامية والعبث بأصول الفقه والاستنباط عبر اصطناع عملاء لهم من علماء سلاطين ومفتين وحركات يسمونها إسلامية، وعبر رجال ومنابر ومؤسسات وجامعات وفضائيات تقوم بعمليات التحريف والتضليل المدروس والموجَّه. وهذا في مقابل محاولة القضاء على الفكر الإسلامي النقي في منبعه وأصول استنباطه، وإثارة غرابته وعجزه عن مواكبة العصر والواقع وتخويف دعاته واستئصالهم.

ويُطَبَّل لهذا التحريف على أنه تطور، وطريق خلاص، وعلى أنه فكر إسلامي معاصر.

إن تحريف أفكار الإسلام والعبث بمفاهيمه لتُوافِقَ مفاهيم الكفر ولتنال رضا الكفار وسلاطينهم وعملائهم هو طريق غضب الله وسخطه وليس طريق خلاص. وهو طريق إلى مزيد من التخلف والتبعية والهوان، وهو كفر وليس فكراً إسلامياً.

وقد يَضل ويزيغ بهذا التحريف بعض المخلصين من محبي الإسلام وكثير من عوامِّ المسلمين الذين لم يتحصنوا بفهم الإسلام ـ ولو إجمالاً ـ عقيدةً ونظماً.

إن الصحوة على الإسلام كعقيدة سياسية، ينبثق عنها نظام ما زال فيها هذا الدخن. فلا بد من الصراع الفكري والكفاح والسياسي، وتأجيج هذا الصراع لإبراز حقيقة هذا الدخن، وأنه مؤامرة شيطانية، ولتنظيف الأجواء الإسلامية وتطهيرها منه.

والسبب الرئيس لهذا الزيغ ولقابلية الانحراف، هو النقص الذي دخل على المسلمين في فهم العقيدة الإسلامية كعقيدة روحية.

المحرِّفون والزائغون ينظرون إلى قوى الكفر، الهائلة في أعينهم، وإلى إمكانيات الكفار التي تتضاءل أمامها قوى المسلمين إلى أن تعدو كأنها لا شيء. ثم يقيسون الأمور.

ينظرون إلى الهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية للكفر على العالم. وينظرون إلى الدويلات القائمة في العالم الإسلامي وضعفها أمام ذلك الكفر وتبعيتها المطلقة له، وإلى قمعها وظلمها للمسلمين، وينظرون من جهة أخرى إلى المسلمين فيرونهم ضعافاً لا حول لهم ولا قوة إلا بمقدار ما يسمح لهم به عدوهم حفاظاً على مصالحه. ينظرون إلى العالم فيَرَوْنَه قرية صغيرة تحت سلطان القوى الكبرى، ولكنهم لا يرون الله، فييأسون. فيَضلون ويُضلون.

ييأسون من إمكانية إعزاز دين الله، فيجدون خلاصهم في مسايرة الكفر ومحاولة إرضائه، ورفع شعاراته والدعوة إلى أفكاره، والحفاظ على مصالحه. ويقفون في خندق واحد مع الفراعنة وملئهم في مواجهة المخلصين الثابتين على عهد الله، الذين يرون الكفر وقوته وإمكاناته، ولكنهم يرون أيضاً أن الله أكبر.

نعم، هذا سبب ذلك الدخن في الأمة ـ والله أعلم ـ. وهو ضعفٌ في الإيمان. حتى إن من أقطاب (علماء ومفتي) هذا الدخن مَن ضَعُفَ الإيمان عنده فاتبع هواه وأظهر رضاه بأفكار الكفر، فلم يُبْقِ على مقدار حبة خردل منه.

ومن الجدير ذكره هنا، أن هذا ليس تكفيراً لهذا الصنف من المحرفين والزائغين، فما نراه أنهم يؤمنون بالله وملائكته وسائر أركان الإيمان. ونراهم يصلُّون ويحجون. فالناحية العقلية أو الفكرية في إثبات «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أو في قبولها موجودة لديهم. ولكن أثر هذا الإيمان في السلوك غير موجود. أثره في الإيمان بوعد الله ونصره وتأييده، بفرجه ومنِّه وكرمه، بمعيته وقدرته وقضائه وقَدَره، بحفظه وأمنه وتيسيره، هذا كله غير موجود، على غرار قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزني الزاني حين

يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق، وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» رواه البخاري.

هؤلاء الزائغون لئن سألتهم ليقولُن: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ولئن قلت لهم: اخشوه وأطيعوه ليقولُن: إنك أعمى ألا ترى الملك وزبانيته، ألا ترى الكفر وجموعه. ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾، ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾.

إن عقيدتنا ليست مجرد بحث عقلي أو إدراك نلتذ به. إنها إيمان له آثاره على النفس وفي السلوك. وآثار هذا الإيمان تظهر في المحن والشدائد وعند الضيق ونزول البلاء. لقد خَلَقَنا الله لعبادته. وعبادته هي طاعته. ومن عبادته تعبيد الناس له ونصر دينه وإعزازه وإقامة أحكامه.

وعندما ينظر الدعاة حولهم في الدنيا، ويرون ضعفهم وقلة حيلتهم، وتسلط عدوهم، ويرون الطريق مسدوداً لإعزاز دين الله ونصره بحسب الإمكانات المادية، فهو مسدود بنظرهم القاصر، وإن صح نظرهم فهو مسدود بالحسابات الدنيوية المادية. فإن جعلوا يغيرون أحكام الدين ويسعون لإرضاء الكفار، فيوالون أعداء الله ورسوله، ويخشونهم أكثر من خشيتهم الله، فهذا ضعف في الإيمان ونكوص عن طريقه. وهذا سقوط في امتحان الله لما في قلوبهم.

وعندما يدرك الدعاة المؤمنون أن ما هم فيه من استضعاف وقلة حيلة ونقص في العدد والعُدة، وضيق في الأرض والرزق والأمن، وانغلاق في السبل، إن هذا إنما هو امتحان لإيمانهم، فما عليهم إلا أن يقوموا بأمر الله على أتم وجه فيأخذوا بالأسباب المادية بأقصى استطاعتهم، ويبذلوا أقصى ما لديهم في عبادة الله ونصره وإعزاز دينه، مهما كان ذلك ضئيلا بحساب الأسباب والمسببات الدنيوية، فإنهم يتوكلون على الله الذي بيده القضاء والقدر والرزق والأمن، والذي هو يحيي ويميت ويُعز ويُذل وهو على كل شيء قدير. فهنا يتجلى معنى الإيمان ويظهر أثر هذا الشعور الإيماني على المواقف والسلوك، فإن كان الكفر قوياً فالله أقوى وأكبر، وهو حاضر في كل حال وفي كل حين.

يقول تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ ويقول: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم﴾

ونصر الله هو بالإيمان به وطاعته والثبات على ذلك. ولا يجوز التغاضي عن الإعداد وربط الأسباب بالمسببات، قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. والإعداد والأخذ بالأسباب واجب. وقد أمر تعالى بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخذ بالأسباب. وعندما تكون حيلة المؤمنين وإمكانياتهم ضعيفة، فإن تبديل الدين وتحريفه والنكوص عن الطاعة ليس هو السبيل، إذ هذا معصية ومجلبة لسخط الله تعالى وهو ضعف في الإيمان. والمطلوب في هذه الحالة هو تقوية الإيمان وتشديده، والاندفاع إلى مزيد من العمل والثبات ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞ فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾.

فهذه الأسباب والمسببات بالحسابات الدنيوية ليست أسباباً للنصر وتحقيق الغاية، وإنما هي من شروط النصر. وأخذُها بعين الاعتبار على أتم وجه إنما هو تنفيذ لأمر الله سبحانه. والقيام بذلك هو من قبيل طاعة الله ونصره. وعلى ذلك فالمؤمنون الدعاة يُعِدّون ما يستطيعون، وإن كانوا ضعافاً أو مستضعفين فإنهم يتقدمون ويثبتون ويصبرون واثقين بنصر الله. وهذا التقدم والثبات والصبر والإصرار هو من الأسباب التي أمر الله بها وهي معنى أن ننصر الله، ومن شروط تنزيل الله سبحانه وتعالى لنصره.

إن عقيدتنا عقيدة روحية، وهي تعني أن نستحضر أمر الله ونهيه ومراقبته ومحاسبته بشكل دائم. أن نستحضر قوته وعظمته ووعده ومعيته ونصره. وبمقدار ما يتمثل هذا في المواقف والسلوك يكون القرب من الله ويكون

العيش بمعيته وبعينه وبرعايته جل في علاه.

وهذه مرتبة من الإيمان يجب إدراكها والتمسك بها، وتذكرها والتذكير بها وتنبيه الأمة ودعوتها إليها. الإيمان هو أن نؤمن بما عند الله من نصر وليس بما عندنا أو عند أحد سواه، وبما عند الله من فرج وليس بما نراه، وبما عنده من أمن وليس بما عندنا، وبما في يده من رزق وليس بما في أيدينا، وأن يظهر هذا في السلوك وليس فقط على اللسان.

سيدنا موسى عليه السلام والمؤمنون معه، استضعفهم فرعون وزبانيته، ولما وصل موسى وأتباعه إلى البحر قال الذين معه: ﴿إنا لمدركون﴾، فالحسابات المادية تقول إن فرعون خلفنا والبحر أمامنا فلا مفر. ولكن موسى عليه السلام، المؤمن، رسول الله، كان يرى فرعون ويرى البحر، ويرى الله أيضا، ليس ضروريا أن يعرف أو أن نعرف كيف النجاة أو كيف الخروج أو كيف النصر، ولكن أن نستحضر أمر الله ووعده وأن له جنودا لا يعلمها إلا هو. ولذلك رد موسى عليه السلام على أتباعه بقوله: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾. وفلق البحر ونجا موسى ومن معه وهزم فرعون ومن معه. والله تعالى يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ويقول: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾.

سيدنا نوح عليه السلام أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأمره: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾. وجعل الكافرون يمرون عليه ويسخرون منه، إنه يصنع سفينة في مكان لا ماء فيه، ولا تصل إليه البحار أبدا، ولكنه ـ عليه السلام ـ كان يقول لهم: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾. فقد كان يرى عوامل أخرى مؤثرة في الواقع ومغيرة له وهي ليست مما يعتبر بمحض الحسابات المادية. وقد نجا نوح ومن حمل في السفينة وغرق الكافرون. أليس في هذا ذكرى وعبرة للمؤمنين! ﴿وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾.

قبيل فتح مكة أرسل الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقتالهم. وقد أخبر الله تعالى نبيه بذلك. وافتضح الأمر. فاعتذر حاطب بأنه أراد أن يكون له يد عند القوم إن هزم المسلمون، فهو ليس له في مكة أهل أو عصبة كما لغيره من المسلمين. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فمنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بأنه صادق فيما يقول، وأنه لم يخرج من الإسلام. وقال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم» إن هذه الحادثة تشير إلى أن هذا الفعل ليس من أوصاف المسلمين، ومع ذلك فهذا ليس تكفيرا لفاعله، ولكنه من حالات ضعف الصلة بالله. وقد نزل القرآن الكريم في هذه الحادثة ليؤكد هذا المعنى للإيمان، أي دوام الصلة بالله ومراقبته. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ الآية. وأمر الله باتخاذ موقف العداء والبراءة الصريحين من الكفر وأهله. ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾. أما ما قد يخشاه الدعاة أو يرجونه، فليس طريقه التحريف والتبديل والمعصية، وإنما طريقه الثبات والتوكل على الله وتوليه. ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، ﴿أليس الله بكاف عبده﴾. ولذلك فما كان يرجوه حاطب من أن يصنع مودة بينه وبين العدو الكافر خشية الدوائر، جاء القرآن ليؤكد أن الطريق إليه هو الثبات على موقف البراءة من الكفر والكفار، ومحاربتهم. وإذا ظهر للمرء أن الثبات يؤدي إلى انغلاق السبل، فعليه أن يتذكر قدرة الله.

وهذا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم تسد في وجهه السبل، ويكذب ويعذب، ويعذب صحابته، ويطلب النصر والعون فيطرد ويرد شر رد. ويهيم على وجهه لا يجد في الدنيا أزرا ولا

سنداً، فهل اعتمد على هذه الحسابات وتنازل؟ هل اكتفى بما يراه بحواسه من قوى مادية فييأس أو يغير ويبدِّل؟ إنه في أحلك الظروف وأشقِّها من الضعف والاستضعاف وقلة الحيلة وانغلاق السبل يتوجه إلى من بيده ملكوت كل شيء، ومن له الخلق والأمر، ومن بيده التيسير وفتح المغاليق: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملّكتَه أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك». صلى الله عليك يا رسول الله.

إن العقيدة الإسلامية ليست علم كلام وجدال في معاني صفات نرددها أو نحفظها، يكفّر بعضنا بعضاً فيها، حتى ترى في المسلمين فئاتٍ يكفِّر أو يتهم بعضهم بعضاً، وكلهم يدعي الحرص على العقيدة وعلى العلم الصحيح. ثم هم يمتدحون الحكام الكفرة والظلمة وينافحون عنهم ويتقربون منهم، ويعتلون المنابر ويجبِّرون الصفحات في البحث في صفات الله، وفي التبرير للحكام وتبرير الحكم بغير ما أنزل الله، وفي التهجم على الدعاة المخلصين والتنفير منهم.

إن العقيدة إيمان ومواقف رجال ثابتين على عهد الله لا يغيّرون ولا يبدلون: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلاً﴾.

إن الولاء موقف، والبراء موقف، موقف عملي، وهو إذن عمل سياسي يدل على إيمان صاحبه وطمأنينة نفسه بهذا الإيمان وشعوره بأن الله معه يسمع ويرى.

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فاتاه جبريل فقال، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث [1].

بهذا الإيمان وبهذا الإحسان تهون في عين المؤمن مصائب الدنيا وأهوالها الواقعة أو المتوقعة أو المتوهَّمة، ويصغر كبارها ويضعف أقوياؤها ويرخص نعيمها وثمينها، فتدمع عيناه ويشتاق إلى لقاء الله، فتلازمه مراقبته ويغتنم فرصة الامتحان والبلاء ليتقرب إلى الله سبحانه، فتهون عليه التضحية بالنفس والمال، وإن خشي على ولده والضعاف من خلفه ازداد إقداماً وثباتاً وصبراً فالله وليهم ومولاهم: ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضِعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾.

أما مواقف الممالأة والموالاة للكفر وشرائعه وسلاطينه، وخشيتهم أكثر من خشية الله، فهي مواقف لا يقوم بها من يقوم بها وهو مؤمن، وتحريف الأحكام الشرعية بسبب ذلك هو من أكبر الكبائر ولو جاء ممن يسمَّون علماء أو كبار العلماء. وهي مواقف الزائغين والذين في قلوبهم مرض، الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وأعمى قلوبهم: ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

قال تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ وقال جل من قائل: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ صدق الله العظيم ❑

محمود عبد الكريم حسن

---

(١) تتمة الحديث: «قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها: إذا وَلَدَتِ الأمَة ربَّها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبي ﷺ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الآية. ثم أدبر، فقال: ردوه. فلم يروا شيئاً. فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان.

مصطلحات حديثة في الاقتصاد

١- مبدأ مراقبة الصرف:

وهو يقضي بمنع خروج النقود الورقية، أو الذهبية، من دولة ما إلا بما يسمح به القانون.

٢- تعويم سعر الصرف:

يعني أن تحديد قيمة عملة بالنسبة لبقية العملات يكون حراً، وغير ثابت، ما يقتضيه قانون العرض والطلب في البورصات، وأسواق الأوراق المالية.

٣- المقاصة:

وهي عملية نقدية مصرفية، يتم بموجبها تسديد قيمة الرصيد السالب فقط، تحصله الحسابات الدائنة والمدينة.

٣- الثعبان النقدي:

وهو الهامش الذي يمكن لأسعار صرف العملات أن تتقلب به حول سعر صرفها الثابت. وفي حال تجاوزه يتدخل المصرف المركزي لدعم سعر الصرف الثابت.

٥- النفق النقدي:

وهو الهامش الذي يمكن لدولة ما تخفيض سعر صرف عملتها بنسبة لا تزيد عليه دون ضرورة الحصول على موافقة صندوق النقد الدولي.

٦- التضخم النقدي:

وهو يعني وجود كمية من النقود تعبر عن قيمة أكبر من قيمة السلع المطروحة للبيع في الأسواق ما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها.

(معدل التضخم = متوسط ارتفاع الأسعار).

٧- الشريحة الإضافية:

في البداية كان ميثاق الصندوق ينص على منح قروض تصل في حدها الأعلى إلى نسبة ١٢٥% من حصة كل دولة. والشريحة الإضافية هي ما يزيد على ١٠٠%.

٨- حقوق السحب الخاصة:

تم اتخاذ القرار بشأنها في مؤتمر ريودي جانيرو عام ١٩٦٧ وتتيح منح قروض للدول الأعضاء التي تشتريها بالدولار، ولا تسدد من تلك القروض سوى ٣٠% من قيمتها الاسمية.

٩- جدولة الديون:

تتم حين تعجز الدولة المقترضة عن دفع أقساط وفوائد ديونها. فتوقع اتفاق قرض جديد يشمل مبلغ القرض القديم وفوائده، ولكن بمعدل فائدة جديد مرتفع.

١٠- دورة رأس المال:

وهي الفترة الزمنية التي يستعيد فيها المستثمر رأس المال الذي استثمره في المشروع.

١١- حساب الاستبدال:

سمي كذلك للإشارة إلى استبدال الذهب بحقوق السحب الخاصة لتلعب دور النقد الاحتياطي عوضاً عن الذهب.

١٢- نادي باريس الدولي:

تأسس سنة ١٩٧٧ من ثماني عشرة دولة. ومهمته إقراض الدول النامية. أي هو عبارة عن تجمع مالي من بنوك مركزية وغير مركزية للاستثمار المالي؛ أي يعطي قروضاً بالفوائد. ولهذا النادي دور كبير في عمليات البورصات والأسواق المالية.

واجتماع أية دولة مع هذه المصارف الدائنة يهدف إلى جدولة ديون تلك الدولة ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ﴾

قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم(١١٤) ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم(١١٥) وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون(١١٦) بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون(١١٧) وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون(١١٨) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم(١١٩)﴾.

هذه الآيات متصلة بمن ذكرهم الله سبحانه في الآيات السابقة الذين كانوا يقولون لكل صاحب دين لستم على شيء أي اليهود والنصارى والمشركون، فكان كلّ فريق منهم إذا استولوا على مساجد الطرف الآخر منع ذكر الله فيها وسعى في خرابها، وواقعهم في عهد رسول الله ﷺ وما قبله ينطق بذلك، فكان اليهود إذا استولوا على مساجد الفرق الأخرى أو كانت في حوزتهم منعوا أولئك الفرقاء من ذكر الله فيها وسعوا في خرابها، هكذا صنع اليهود مع النصارى والنصارى مع اليهود عندما كانوا يتغلبون على مساجد بعضهم، وهكذا صنع المشركون مع رسول الله ﷺ عندما كان البيت الحرام بحوزتهم فمنعوا الرسول ﷺ وصحبه من العمرة والطواف بالبيت.

وهذا الأمر مشاهد محسوس في عصرنا الحاضر، فالحروب التي يشنها اليهود والنصارى الصرب والهندوس والروس على المسلمين في فلسطين ولبنان والبوسنة والهند وكشمير والشيشان تُري كيف يتقصد الكفار المآذن والقباب والمساجد كلها بالقذائف وأسلحة التدمير حاقدين عامدين متعمدين.

والله سبحانه يبين في هذه الآيات ما يلي:

١. إنه لا أحد أظلم ممن منع كلمة الحق أن تذكر في بيوت الله وقام بتخريب المساجد سواء التخريب المادي ـ أي الهدم وعدم العناية بها ـ أو التخريب المجازي بأن جعلها بيوتاً معطلةً من دعوة الخير ونشر فيها دعوة الشرّ.

﴿ومن أظلم﴾ استفهام استنكاري أي إنكار أن يكون أحدٌ أظلم من أولئك.

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ أي أظلم المانعين هم المانعون لمساجد الله، وهذا على نحو قوله سبحانه ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ الصف: ٧ أي أظلم المفترين هم أولئك الذين يفترون على الله الكذب ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ البقرة: ١٤٠ أي أظلم

الكاتمين هم أولئك الذين يكتمون شهادة عندهم من الله.

(فالأظلم) في هذه الآيات هو في نفس الموضوع المذكور من الآية.

٢. ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ أي أولئك لا ينبغي لهم أن يدخلوها آمنين وهذا نهي أن يمكنوا من دخولها آمنين، ودخولهم آمنين يعني أن يكونوا أصحاب سلطان عليها.

﴿أولئك﴾ إشارة إلى الفريق الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ويسعون في خرابها والمذكورون في الآية السابقة، غير أن النص عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي تشمل كل مانع لمساجد الله وساع في خرابها.

وعلى هذا النحو يكون المعنى أنه يحرم عليكم أيها المؤمنون أن تمكنوا المانعين لمساجد الله والساعين في خرابها أن يكون لهم سلطان عليها.

والنهي هنا جازم بقرينة ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهذا النهي ﴿ما كان لهم أن يدخلوها﴾ على نحو قوله سبحانه ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ الأحزاب: ٥٣ أي يحرم عليكم أن تؤذوا رسول الله، وعلى هذا النحو قوله سبحانه ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ الأحزاب: ٣٦ أي يحرم على كل مؤمن أو مؤمنة أن يعصي أمرا أبرمه وجزمه الله ورسوله ﷺ.

٣. ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هذا بيان من الله سبحانه لعقوبة أولئك المانعين مساجد الله مما أقيمت لأجله، فعقوبتهم خزي في الدنيا أي ذلة وهوان وكشف لسيئاتهم وإظهار مرض قلوبهم إلى العيان ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ محمد: ٢٩ وفي الآخرة عقوبةٌ شديدةٌ عظيمةٌ.

٤. إن الله سبحانه قد جعل الأرض مسجداً وطهوراً "فأيما رجل أدركته الصلاة فليصلّ حيث كان" البخاري: ٣٢٣، مسلم: ٨١٠ فإذا خربت بيوت الله وعطلت الصلاة فيها من قبل الموصوفين في الآيات السابقة، فليصل المرء حيث وجد وليولِ وجهه شطر المسجد الحرام مهما كانت تلك الجهة، فالجهات كلها لله سبحانه هو مالكها وهو خالقها.

فإن كانت جهة المسجد الحرام شرقاً فليصل شرقاً وإن كانت غرباً فليصل غرباً وإن كانت جهة أخرى فليصل إليها وسيكون في جميعها متجهاً إلى الله سبحانه.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي إنَّ الله مالك الاتجاهات كلها وخالقٌ لها، وقد ذكر هنا المشرق والمغرب للدلالة على جميع الجهة التي تشرق منها الشمس عند الأفق وهي تُرى رأي العين فتشرق من نقاط متعددة حسب فصول السنة، وتلك الجهة من أول نقطةٍ إلى آخرها في الأفق الشرقي هي المشرق وهكذا المغرب.

وقد ذكر في موضع آخر ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ الرحمن: ١٧ فالمشرقين أي أول نقطة تشرق الشمس منها وآخر نقطة تشرق منها حسب فصول السنة (المشرقين) أي بداية منطقة الشروق ونهايتها خلال السنة، وهكذا (المغربين).

وقد ذكرت كذلك ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ المعارج: ٤٠ فالمشارق نقاط شروق الشمس من جهة المشرق حسب فصول السنة وهكذا المغارب.

وذكر (المشرق والمغرب) أو (المشرقين و المغربين) أو (المشارق والمغارب) كناية عن أن الله سبحانه مالكٌ لكلّ الجهات وخالقٌ لها وهو سبحانه واسع الرحمة عالمٌ بما يصلح عباده ﴿إن الله واسع عليم﴾.

٥. ثم يخبرنا الله سبحانه أن أولئك المذكورين في الآية السابقة ـ اليهود والنصارى والمشركين ـ قالوا اتخذ الله ولداً، فاليهود قالوا ﴿عزير ابن الله﴾ التوبة/آية٣٠ والنصارى قالوا ﴿المسيح ابن الله﴾ التوبة/آية٣٠ والمشركون قالوا الملائكة بنات الله ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ۞ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ۞ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ۞ ولد الله وإنهم لكاذبون ۞ أصطفى البنات على البنين ۞ مالكم

كيف تحكمون ۞ أفلا تذكرون﴾ الصافات: ١٤٩-١٥٥.

ويعلمنا الله سبحانه أنه منزهٌ عن افتراءاتهم وأنه سبحانه مالك السموات والأرض ومن فيهن وما فيهن والجميع له سبحانه منقادون طائعون.

﴿بل﴾ للإضراب، أي إبطال لما زعموا من أن لله ولداً.

﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ إن استعمال ﴿ما﴾ التي لغير العاقل هو للدلالة على أن منزلة الذين زعموا أنهم أبناء لله بالنسبة لعظمة الله كأنهم جمادات، فبون شاسع بينهم وبين الله سبحانه، فالولد عادة من جنس والده، وهذا كناية عن تسفيه أحلام أولئك القائلين عن المخلوقات أنها أبناء للخالق الذي خلقها وخلق السموات والأرض وما فيهن.

﴿كلّ له قانتون﴾ التنوين في ﴿كلّ﴾ عوض عن المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض وكل من جعلوه لله ولداً كلهم طائعون خاضعون لله سبحانه.

٦. إن الله سبحانه هو مبدع السموات والأرض، والإبداع الإيجاد على غير مثالٍ سابقٍ أي خالقها، وهو سبحانه لا يعجزه شيء فإذا أراد شيئاً حدث كما أراد سبحانه.

﴿بديع السموات والأرض﴾ أي مبدعها من تصريف (مُفعِل) إلى (فعيل) على نحو مؤلم إلى أليم.

﴿وإذا قضى أمراً﴾ أي إذا أراد شيئاً على نحو قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ يس: ٨٢.

﴿كن فيكون﴾ كناية عن حدوث ما يريده الله سبحانه على الفور كما يريد.

٧. يخبرنا الله سبحانه أن ﴿الذين لا يعلمون﴾ وهم المذكورون في الآية السابقة ﴿وقال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ أي مشركو العرب قد طلبوا مثل آيات الأولين ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الإسراء/آية٩٠ ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ الأنبياء: ٥ ﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾ الفرقان: ٢١ هكذا قالوا لرسول الله ﷺ وقولهم هذا مثل قول السابقين من يهود ونصارى، وقد قال اليهود ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ البقرة: ٥٥ وغير ذلك، وقالت النصارى ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ۞ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ المائدة: ١١٢-١١٣، فقال المشركون كما قال الذين من قبلهم حيث تشابهت قلوبهم باشتراط رؤية الآيات لكي يؤمنوا ويصدّقوا.

ثم يختم الله سبحانه الآية ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ أي إن الذين يطلبون الآيات لأجل التثبت واليقين والإيمان فإن الله سبحانه قد بينها لهم وهذا ردّ على مشركي العرب في مكة الذين طلبوا من رسول الله ﷺ أن يصنع لهم ويصنع من المعجزات، فإن الله يبين لهم إن كنتم تريدون الآيات لتؤمنوا فقد أنزلها الله وبيَّنها، وهي كتاب الله المعجز الذي جاء به رسول الله ﷺ، كما تؤكد ذلك الآية اللاحقة.

٨. يخاطب الله سبحانه رسوله ﷺ بأنه أرسله بالقرآن الكريم المعجز المتحدي للعرب بأن يأتوا بسورة مثله، وفي هذا ردٌّ على قولهم ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ فلو كانوا حقاً يريدون آيةً ليؤمنوا فها هي - هذا الكتاب المعجز - فليتدبروا آياته، وعندها يتبين لهم أنه ليس كلام بشرٍ بل كلام الله سبحانه فيؤمنوا إن كانوا صادقين في طلبهم الآيات لأجل الإيمان.

ثم يخبر الله سبحانه رسوله ﷺ أنه بُعث بالقرآن الكريم بشيراً للمؤمنين برضوان الله والجنة، ونذيراً للكافرين بسخط الله والنار، فمن كفر بعد ذلك فلن يضرَ اللهَ ورسولَهُ شيئاً ولن يكون الرسول ﷺ مسؤولاً عن كفره، حيث إنَّ على الرسول البلاغ والإنذار ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم﴾.

﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ أي بالقرآن على نحو ما قاله سبحانه ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ ق: ٥. ❑

دلالات الهجرة العظيمة

أذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالهجرة، فهاجر إلى المدينة المنوّرة، بعد أن كان المسلمون في مكة قد سبقوه إليها. لقد كانت الهجرة بداية مرحلة بارزة في تاريخ الإسلام، بها أقيمت للمسلمين دولة، ترعى شؤونهم، وتطبق أحكام دينهم، وتحمله للعالم بالدعوة والجهاد، فعزّ المسلمون بدولتهم، وقويت شوكتهم، ينشرون العدل ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم القوي العزيز.

ولعظمة هذه الحادثة، سنتناول ما شاء الله من دلالاتها، مبتعدين قدر الإمكان عن السرد التاريخي، إلا بالقدر اللازم، لبيان الأمر جلياً واضحاً.

أولاً: يقول ابن إسحاق كما أورده ابن هشام في سيرته:

(أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها فخرجوا أرسالاً... وأقام رسول ﷺ الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما).

لقد كان أمر الله سبحانه أن يهاجر رسول الله ﷺ بعد أن يكون أصحابه قد سبقوه إلى المدينة، الدار التي يأمنون بها، وفي هذا بيان لرعاية القائد لرعيته، فهو يبعدهم عن الخطر، ويأخذ بأيديهم إلى الأمان، فإذا كان الخطر أمامهم، كان هو في الأمام وهم من ورائه، وإذا كان الخطر خلفهم، كان هو من خلفهم ودفعهم إلى الأمن والأمان. لقد أصبحت المدينة مكانا آمنا للمسلمين، في حين أن مكة كانت دار فتنة وعذاب للمسلمين، فأمر الرسول ﷺ أن يهاجر المسلمون أولا فإذا اطمأن على وصولهم سالمين، أذن الله بعدها لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، أن يهاجر.

والآن لنتدبر حادثة أخرى، فقد سمع المسلمون وهم في المدينة جلبة ظنوها من عدو أو نحوه، فتسابقوا لاستطلاع مصدرها، فوجدوا أن الرسول ﷺ كان قد سبقهم لاستطلاع الأمر، وقابلهم راجعاً من استطلاعه، وهم لم يكونوا قد وصلوا بعد.

أي أن الرسول ﷺ كان يواجه الأخطار ويؤمن سلامة المسلمين، ففي حادثة الهجرة بقي الرسول ﷺ في مواجهة الخطر وأذن للمسلمين أن يهاجروا قبله لدار الأمن، وفي الحادثة الأخرى، كان رسول الله ﷺ أول المسلمين في استطلاع الأمر ومواجهة الخطر.

إن كل هذه دروس للحاكم مع المحكومين، للقائد مع الرعية، يحوطها بنصحه، ويقيها بنفسه، ويكون أولها في مواجهة الأخطار، ليؤمن لها الأمن والأمان (الإمام جنة يتقى به ويقاتل من ورائه).

هذه هي الرعاية، كما بينها عملياً رسول الله ﷺ، لا كما نراه اليوم من تصرفات الحكام في بلاد المسلمين، يدفعون الناس للأخطار، في فتنة أو ضائقة، ويبقون هم في سعة، غير عابئين برعاية الناس أو حفظ أمنهم، بقدر ما يلحقون بهم الأذى، لا يتقون الله ولا يرعوون.

ثانياً: لقد تعرض رسول الله ﷺ في مكة مع المسلمين، إلى الأذى بصنوفه المتعددة، ثم اشتد هذا الأذى حتى بلغ الذروة، عندما اجتمع كفار قريش في دار الندوة، يخططون لقتل رسول الله ﷺ.

يقول ابن إسحاق (... فقال أبو جهل بن

هشام، والله إن لي فيه لرأياً، ما أراكم وقعتم عليه بعد، نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً. نسيباً، وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم...).

أي إن كفار مكة وصلوا في حربهم للإسلام والمسلمين، غاية الأذى، فقد قرروا قتل الرسول ﷺ فبلغت شدة حربهم منتهاها، ولكن الفرج كان مع أوج هذه الشدة، فقد أذن الله سبحانه لرسوله ﷺ أن يهاجر للمدينة وأن تقام الدولة، وترتفع راية الإسلام فوق كيان يعز فيه الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله.

لقد كان النصر عند قمة الأزمة واشتدادها، وفي هذا بيان، وأي بيان، إنه كلما ادلهمت الخطوب واشتدت الأزمات، كان ذلك إيذانا بقرب النصر والفرج. إن اشتداد الأزمة عند غير المسلم، تسبب له يأسا وقنوطا واضطرابا، ولكنها عند المؤمن لا تزيده إلا ثباتا وترقبا للنصر ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾.

ثالثا: لما أذن الله لرسوله بالهجرة، أمر عليا بن أبي طالب، كرم الله وجهه، أن يبيت في فراشه، ليوهم كفار قريش المحيطين بالدار أن الرسول ﷺ لا زال نائما، فقد كانوا ينتظرون خروج الرسول ﷺ صباحا من الدار حتى يقتلوه[1]. أورد ابن إسحاق في السيرة (... وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده.. وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس ﴿يس والقرآن الحكيم... إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾.. ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا محمدا، قال خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1]، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا). ويضيف ابن إسحاق (... أتى رسول الله ﷺ أبا بكر ابن أبي قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور - جبل أسفل مكة - فدخلاه... فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه، مائة ناقة، لمن يرده عليهم. وكان عبد الله ابن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر... فإذا عبد الله ابن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه. حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه - الدليل - ببعيريهما وبعير له...).

إن تدبر ما فعله رسول الله ﷺ في هجرته، يبين أهمية ربط الأسباب بالمسببات في مثل هذه الحالات، فالرسول ﷺ قد موه عليهم في الفراش فأمر عليا أن ينام مكانه متسجيا ببرده، وخرج مع أبي بكر من فتحة في ظهر البيت وليس من الباب الرئيسي، ثم بدل أن يذهب شمالا باتجاه المدينة، ذهب جنوبا إلى غار ثور، ومكث ثلاثا حتى خف الطلب، وكان يتتبع أخبار مكة وهو في الغار، ليكون الخروج من الغار وتكملة المسير أكثر أمنا وأمانا، وكان يجعل الغنم تطمس آثار ابن أبي بكر عندما يحضر لهما الأخبار، حتى يحول دون قريش ومعرفة مكان الرسول ﷺ من تتبع الآثار، كل ذلك وغيره، فعله رسول الله ﷺ، وهو على يقين بأنه سيصل إلى المدينة سالما بوحي من الله، فهو يقول لأبي بكر جوابا لقوله (يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لرآنا) يقول له: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، ثم إنه عليه الصلاة والسلام، يثبت أبا بكر، بان لا يحزن، فالله معهما ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما

في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾.

إن رسول الله ﷺ هو قدوتنا، وإن فعله دليل لنا على الأخذ بالأسباب عند القيام بالأعمال (اعقل وتوكل)، فالمؤمن يتوكل على الله، ويؤمن أن النصر من عند الله، ولكنه في الوقت نفسه يأخذ بالأسباب ويجتهد في العمل ويجد في الطلب اقتداء برسول الله ﷺ.

رابعا: وصل رسول الله ﷺ المدينة. يقول ابن إسحاق (... ثم قدم الدليل، بالرسول ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه، قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل... فأقام رسول الله ﷺ بقباء، في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة... فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي...) ثم بعد ذلك توجه إلى المدينة، إلى أن بركت ناقته «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» كما قال رسول الله ﷺ، وعندها نزل عنها رسول الله ﷺ.. وبنى مسجده ومساكنه.

لقد كان من أوائل الأعمال، بل على رأسها، التي قام بها رسول الله ﷺ، هي بناء المسجد. إن المسجد ركيزة أساسة في الإسلام، فهو مركز للصلاة والجهاد والسياسة والحكم، فكما كانت تقام فيه الصلاة، كانت تعقد فيه ألوية الجند، وتنطلق الكتائب منه وتعود إليه، يصلي رسول الله ﷺ شكرا لله فيه عند رجوعه من المعركة، ويبصر المسلمين، من على منبره، بأحكام دينهم. لقد كان المسجد باعثا للحيوية والنشاط في قلوب المسلمين، وهو أمر بالغ الأهمية في بعث الأمة وتدفق حيويتها.

واليوم عطل الحكام مساجد الله من ذكر كلمة الحق، وأصبحوا ينشرون فيه عيونهم وزبانيتهم، تحصي على المسلمين أنفاسهم، وترقب ما يقال في خطبة الجمعة، خوفا من محاسبة الظالمين، على ما يرتكبونه من جرائم في حق الإسلام والمسلمين ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

خامسا: في أوائل عهد عمر رضي الله عنه، وفي جمع من صحابة رسول الله ﷺ، طلب عمر أمير المؤمنين، أن يختاروا حدثا مهما في حياة المسلمين ليتخذه بداية للتاريخ الإسلامي. ودارت الخواطر تطوف على الأحداث المهمة... مولد رسول الله ﷺ، بعثة رسول الله ﷺ ونزول الوحي... لكن عليا رضي الله عنه صدع برأي في ذلك المجلس، فقال لنتخذ الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي فوافقوه وأقروه.

إن اعتماد الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي، ذو دلالة عظيمة، فعلى الرغم من أهمية مولد رسول الله ﷺ، وأهمية نزول الوحي على رسول الله ﷺ، إلا أن عزة المسلمين وعلو سلطانهم، لم تتم ولا تتم إلا بإقامة دولتهم، تقيم الأحكام، وتعلي راية الإسلام، وتفتح الفتوح. فالدولة الإسلامية هي حافظة الدين، تحرس أحكامه، وتحقق أمنه، وغيابها ذل وهوان، وضعف وفرقة، كما هو واقع اليوم. إنها فرض عظيم، وأي فرض، «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

إن تقديم المسلمين حادثة الهجرة كبداية للتاريخ الإسلامي، على حوادث عظيمة أخرى، تستأهل الوقوف، لتدبر هذا الأمر، وإدراك كم هي مصيرية، قضية وجود الدولة الإسلامية، وكم هو فرض عظيم، فرض العمل لإقامة الخلافة، وتنصيب الخليفة، وتطبيق أحكام الإسلام.

ومن الجدير ذكره، أن السنة الأولى للهجرة، عدت كاملة من أولها، أي من محرم الحرام، علما أن رسول الله ﷺ قد هاجر في الثاني عشر من ربيع الأول من تلك السنة. ثم استمر التاريخ الإسلامي على هذا الأساس.

إننا نسأل المولى سبحانه، النصر والتمكين، والعون والتوفيق، لعباده العاملين لاستئناف الحياة الإسلامية في الأرض، بإقامة دولة الخلافة الراشدة، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ ❑

(١) إنهم على كفرهم، كانت عندهم مروءة، فلم يقبلوا أن يقتحموا الدار ويدخلوها عنوة مستبيحين حرمتها ومتسورين الحيطان على أهل الدار مع أنهم جاؤوا لقتل رسول الله ﷺ، ونحن نرى اليوم أجهزة الظالمين تقتحم البيوت ليلا ونهارا، لا يقيمون وزنا لقيم أو مروءة أو حياء.

أخبار المسلمين في العالم

إسرائيل تصنع السلاح للصين

ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية ٠٣/٢٣ في تقرير نشرته أن الصناعات الجوية الإسرائيلية ستنتهي قريبا من بناء أول طائرة تجسس لسلاح الجو الصيني ضمن صفقة قد تبلغ ملياري دولار. ويبلغ سعر الطائرة الواحدة ٢٥٠ مليون دولار وقالت الصحيفة بأن الولايات المتحدة تتهم إسرائيل بأنها تهدد مكانة الولايات المتحدة الاستراتيجية في بحر الصين من خلال هذه الصفقة وأنها ترى فيها تهديدا جديا لها. وقالت الصحيفة بأن مسؤولين أميركيين وجهوا انتقادات شديدة عكست مخاوف الولايات المتحدة من صفقة طائرات التجسس ❑

عيد النار وشعائر ما قبل الإسلام

نقلت صحيفة الحياة الجديدة في ٠٣/١٦ عن وكالات الأنباء أن الإيرانيين تمكنوا من الاحتفال بعيد النار بكل حرية هذه السنة للمرة الأولى منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م وذلك بإشعال آلاف النيران ليل الثلاثاء والأربعاء. ويهدف هذا العيد (بحسب زعمهم) إلى تطهير جسم الإنسان من الأمراض والتخلص من الأرواح الشريرة قبل بداية السنة الجديدة. وحسب التقاليد المتوارثة يقفز الشباب على النيران المشتعلة وهم يرددون: «أعطيك لوني الأصفر وتعطيني لونك الأحمر» ورقص مساء الثلاثاء في أزقة الحي الشمالي لطهران فتيان وفتيات معاً رقصات غربية معاصرة ❑

أميركا تأمر الأوبك بزيادة إنتاجها

نقلت جريدة الأيام عن وكالة رويترز أن رئيس منظمة (أوبك) قال في مقابلة تلفزيونية أجريت معه إن «إدارة الرئيس الأميركي بيل كلينتون تطلب من الدول المنتجة للنفط زيادة الإنتاج بحوالي ٢,٥ مليون برميل في اليوم لوقف صعود الأسعار وتخفيف النقص في الإمدادات بالأسواق العالمية» ❑

تبذير أموال المسلمين في بروناي

ذكر راديو لندن في ٠٣/١٨ خبراً عن وزير مالية بروناي واسمه جعفري وهو شقيق السلطان بلقية حاكم بروناي مفاده: أن جعفري هذا بعد أن أهدر ما قيمته ١٥ ــ ١٦ مليار دولار أميركي على أسرته تبذيراً وإسرافاً طالب الحكومة بدفع راتب شهري ينفقه على نفسه وزوجاته الأربع وأسرته فحكم له القضاء بمائتي ألف دولار شهرياً ولكنه رفض هذا المبلغ مطالباً بما لا يقل عن نصف مليون دولار شهرياً كحد أدنى لمصروفاته ❑

ضرب وزير ونائب في السلطة الفلسطينية

نشرت الصحف أن «الدولة تضرب رموزها» فقد قامت أجهزة أمنهم بضرب النائب قدورة فارس وهو يهم بدخول مكتب عرفات في رام الله. وقبل يوم من ذلك قامت الأجهزة نفسها بالاعتداء على وزير البيئة في السلطة يوسف أبو صفية حتى أغمي عليه من الضرب. نعم هكذا تدار الدول، وهذه هي طريقة الحوار التي تمارس في كثير من دول المنطقة بعقلانية مفرطة في التعقل ❑

تسليم المطلوبين

قامت السعودية بتسليم عدد لم يحدد من المطلوبين إلى كل من مصر واليمن وقد أعلن ذلك على لسان وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز الذي قال في مؤتمر صحفي عقد في مكة في ٠٣/١٣ «قامت السلطات السعودية بتسليم بعض المطلوبين للسلطات المصرية واليمنية ولغيرها من الدول العربية التي لدينا معها تعاون أمني».

وقال ليس لدينا أي سجين سياسي في المملكة ولكن هناك معتقلون متهمون بقضية انفجار الخبر وهؤلاء نعتبرهم قاموا بعمل إجرامي وليسوا معتقلين سياسيين. قبل ذلك سمعنا عن تسليم الأردن لمطلوبين إلى ليبيا وتسليم ليبيا لمطلوبين إلى مصر ❑

كيسينجر مستشار لعبد الرحمن واحد

قام رئيس إندونيسيا بتعيين الدكتور هنري كيسنجر (السيئ الصيت) في خداع الأنظمة وخدمة اليهود مستشارا له. ويبدو أن سياسته التقاربية مع اليهود وأميركا مستمرة على كل الصعد، ولم يكفه العلاقات القوية معهم التي سبقت ورافقت وصوله إلى السلطة (الحياة ٢٠٠٠/٣/٥) ❑

حوادث الاغتصاب مارسها الضباط الكبار

عقيد روسي يدعى يوري بودانوف دخل قرية تانفيي الشيشانية على متن ناقلة جنود واختطف فتاة عمرها

١٨ عاما بعد أن هدد والديها بسلاحه ونقلها إلى شاحن مصفحة حيث مقر قيادته واغتصبها ثم خنقها، ثم استعان برفاقه لدفن الجثة (نقل الخبر الكسندر سميرنوف) مراسل الحياة في موسكو. وتحدثت الصحف الروسية عن حالات عديدة للاغتصاب مماثلة لكن القيادة السياسية والعسكرية لم «تلاحظها» حسب زعمها وقال عريف روسي شارك في الحرب الأولى والثانية ضد الشيشانيين إن القيادات لا تطلع إلا على ثلث الجرائم المرتكبة في حين يظل الباقي دون عقاب أو تحقيق، وقال إن أقرانه يرتكبون جرائم كثيرة ويعجز صغار الضباط عن ردعهم (الحياة ٠٣/٣١).

هذا جيش دولة، أصابها داء العظمة في الجرائم والفواحش، تستفرد بلدا صغيرا في سكانه، كثيرا في إيمانه، وتظن أنها بلغت في النصر عليه غايتها، لكن داء العظمة في الجرائم والفواحش، هو مقدمة السقوط عاجلا أو آجلا، لو كانوا يعقلون ❑

التجسس الصناعي والولايات المتحدة

طلبت منظمة معارضة دنمركية من السلطات هناك أن تقاضي الولايات المتحدة ورئيسها كلنتون بتهمة التجسس الصناعي والمراقبة الإلكترونية لبعض الشركات.

وكان رئيس سابق للاستخبارات المركزية الأميركية اعترف بأن الولايات المتحدة قامت بعمليات مراقبة إلكترونية لشركات أوروبية باستخدام شبكة تنصت يطلق عليها اسم اتشيلون. وكان صحفي بريطاني اتهم الولايات المتحدة باستخدام التجسس الصناعي بمساعدة لندن ❑

تسويق السلاح في الخليج

كوهين وزير دفاع أميركا تجول في رحلات سندبادية في دول النفط لتسويق السلاح وإصدار الأوامر والتعليمات وتخويفهم من العراق وإيران والإرهاب والإسلام «طبعاً الإسلام المتطرف» وابن لادن... الخ.

قبل عام طاف على دول الخليج وبعد انتهاء اللقاء مع أمير البحرين بدقائق توفي الأمير وقيل وقتها إنه كان يسوق السلاح بلهجة الآمر المهدد.

في هذه الجولة طرح مشروع لإنشاء «نظام للإنذار المبكر» في دول الخليج طبعاً من إنتاج وإخراج وإدارة وتجسس أميركا.

وفي المنامة استقبله قائد القوات البحرية الأميركية وكبار الضباط (المرابطين) في القواعد العسكرية الأميركية هناك. وأثنى على قَطَر لكونها شريكاً مهماً لحفظ الأمن والاستقرار في المنطقة ولفت إلى التدريبات التي تجريها القوات الأميركية في الخليج وإلى تخزينها معدات في قطر، وعرض على قطر مشروع الإنذار المبكّر لمواجهة هجمات محتملة بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية حتى يستوعب كل الدولارات التي نجمت عن ارتفاع سعر برميل النفط في الأشهر الماضية ❑

من ينفذ الحظر على العراق ؟!

حصل خلال يومين متتاليين ٠٤/٠٥ و ٢٠٠٠/٠٤/٠٦ أن قامت الأردن بحجز طائرة إيطالية تحدّت الحظر المفروض أميركياً على العراق حيث قامت الأردن باحتجازها في أحد مطارات الصحراء. وفي اليوم التالي أعلن الحرس الثوري الإيراني أن قواته البحرية اعترضت ناقلة في الخليج تهرب نفطا عراقيا واحتجزتها واعتقلت جميع أفراد طاقمها وعددهم ١٨ بحارا إلى جانب القبطان.

عجيب حقا! قولهم: تهرب نفطا، هل سرقوا هذا النفط من جيرانهم؟ أم أنه أصبح سلاحا خطيرا؟! ❑

سبونيك جيل كامل يدمره الحصار

حذر المنسق المستقيل «للنشاطات الإنسانية للأمم المتحدة» هانزنون سبونيك من تدمير جيل من أهل العراق فصرح قائلا: «إن الأسرة الدولية تدمر بعقوباتها الجيل الجديد في العراق، وتلعب لعبة بالغة الخطورة، يمكن الحديث عن جيل الحظر، جيل مجمد وضائع». ودعا إلى فصل الملفات العسكرية عن الملفات الإنسانية. وذكر أن معدل تغيب تلاميذ المدارس عن مدارسهم يراوح بين ١٥-٢٠% بينما كان هذا المعدل شبه معدوم قبل فرض العقوبات. وإن نسبة المتعلمين كانت ٩٠% قبل العقوبات وتراجعت إلى ٦٦% حسب صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الموظف في الأمم المتحدة ليس الأول الذي يستقيل نتيجة جرائم أميركا ضد أهل العراق ولن يكون الأخير، لأنهم شاهدوا بأعينهم آثار الحصار والعقوبات ضد شعب بكامله، ولم يسبق أن حصل شبيه لهذا الإذلال في أية بقعة من العالم، وقد يصبح العراق أمثولة للشعوب الأخرى. ومن المؤسف أن بعض الأصوات من الدول الغربية تعترض

وتحتج على وترسل أشخاصاً يكسرون الحظر، بينما من جانب دول العالم الإسلامي لا أحد يكسر حاجز الصمت الذليل ❑

التطبيع السياحي أم السياسي؟!

مصطلح التطبيع السياحي أطلقته صحيفة النهار البيروتية وذلك في وصفها للوفد اليهودي الذي زار اليمن، وقالت الصحيفة المذكورة إن أنجح هذه الأنواع من التطبيع كان التطبيع الاقتصادي والذي وصل رقمه إلى ما يتجاوز المائة مليون دولار وكان أفشل أنواع التطبيع حسب الصحيفة نفسها التطبيع الثقافي مع العرب.

ولكن الصحف ضللت الناس فأطلقت على الوفد كلمة «السياح» كما سمعت من المصادر اليمنية، والحقيقة أنهم وفد سياسي مبرمج في حِلّه وتَرحاله، وما التسميات التي أطلقت إلاّ لذرّ الرماد في العيون وتضليل لأهل اليمن، وتضليل لأهل المنطقة، فإذا كان هذا الوفد سياحياً فلماذا يقابل رئيس الوزراء عبد الكريم الأرياني (رغم نفي السلطات للقاء وتأكيد مصادر الوفد اليهودي لحصول اللقاء).

وكان عدد أفراد الوفد الأول ١٢ يهودياً غادروا صنعاء على متن طائرة أردنية إلى عَمّان ومن هناك إلى إسرائيل بعد زيارة استفرقت أربعة أيام في ربوع اليمن السعيد! ❑

مسلسل التطبيع والهرولة

بعد دعوة ليبيا لأمين عام حزب العمل الإسرائيلي لزيارة طرابلس، والغزل الجزائري والتحضيرات البحرينية والمكاتب العمانية والقطرية، والوفود اليهودية التي زارت اليمن تحت غطاء «السياحة»، جاء دور موريتانيا، ففي ٢٠٠٠/٠٤/٠٥ قام وفد يهودي يضم سبعة أعضاء من الكنيست الإسرائيلي، ومسؤول في الخارجية الإسرائيلية بزيارة لموريتانيا وأمضوا فيها خمسة أيام لتطوير العلاقات بين البلدين الصديقين، وتأكيد التطبيع الذي بدأ في تشرين الأول ١٩٩٩م باتفاق لتبادل السفراء.

ويبقى الشعار الزائف الذي يُردده إعلام الأنظمة مثاراً للسخرية في مهازل ألف خيانة وخيانة، ألا وهو: «التضامن العربي». إن كبار السن في هذا الخضم العربي العابق بالخيانة كشفوا كل الشعارات الزائفة وأسقطوها، ولكن هناك أجيال صغيرة تجري محاولات لترويضها وخداعها. لقد صدّق البعض أن مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في لبنان في ٠٣/١١ سوف يحقق «التضامن العربي» ويوقف مسلسل التطبيع مع اليهود، فإذا هم يفاجأون بأربع محاولات علنية للتطبيع بعد المؤتمر المذكور، هذا عدا المحاولات السرية الأكيدة، أليست «الأرض بتتكلم عربي»؟ وتضامن عربي مع التطبيع ❑

المخيمات ورقة تجاذب

تبقى المخيمات الفلسطينية في لبنان كما في الماضي ورقة تجاذب بين أطراف عدة، ويتصاعد التجاذب مع اقتراب الموعد الذي حدده باراك لسحب الجيش الإسرائيلي من الجنوب اللبناني المحتل. وبعد بروز الموقف الرسمي في لبنان من المخيمات بعد مرحلة ما بعد الانسحاب قام عرفات بالادعاء بأنه سوف يحمي المخيمات وأهل لبنان في الجنوب من هذا الطرف أو ذاك حسب قوله. وقام أنصاره في مخيمات الجنوب بالتهويل ما دعا سلطان أبو العنين للرد على تصريحات منير المقدح ووصفها بأنها هجومية، وأعلن أن موقف المقدح لا يعبر عن موقفنا في منظمة التحرير، وهذه ليست توجهاتنا، وأكد أن حركة فتح «ليست في حاجة إلى تطويع أو شراء أسلحة وذخائر لأن لديها ما يكفي، وأن مخيماتنا لن تكون عبئاً على السلم الأهلي في لبنان».

سبق ذلك التصريح من أبو العنين قيام منير المقدح بسلسلة لقاءات مع الناس في مخيم عين الحلوة وقال: «للمرة الأولى يشعر الفلسطينيون أن هناك من يؤازر قضيتهم جدياً» (في إشارة إلى المذكرة التي رفعها الرئيس لحود إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان)، ثم نظم المقدح جولة للإعلاميين على أحد مراكز التدريب حيث يتم تأهيل عدد من المتطوعين الذين استجابوا لدعوة المقدح لتبني العمل المسلح ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي ❑

عُدي صدام ٩٩,٩٩ في المائة

تتكرر المهزلة من قطر لآخر في منطقتنا في إخراج الاستفتاءات والانتخابات المزورة، في محاولة لاستغباء فريق من الناس وهم يعلمون أن قلة من الناس فقط قد تُخدع وهم السذج البسطاء. هناك زعماء في محيطنا وفي الغرب أمضوا حياتهم في خدمة شعوبهم بإخلاص، وتعرضوا لمخاطر عديدة وتضحيات في سبيل أهداف بلدانهم ويقودون

أحزابا عريقة في خدمة الناس والتأثير على الرأي العام، وبالكاد يحصل هؤلاء على نسبة تتعدى خمسين بالمائة، أما عندنا فإن العباقرة حققوا ما لم يحققه الأوائل والمتأخرون من الزعماء الأخيار والأشرار.

هذا العدي يحبه أهل العراق كثيرا، فهو لم يؤذ أحدا منهم ولم يقتل ولم يعذب وهو خاض معارك ضد اليهود والروس والصرب وأميركا وبريطانيا وأوسمة الانتصار تملأ صدره، وسجون بغداد تشهد على نظافتها من المظلومين ومقابر بغداد أيضا لا تحوي سوى من أثقلت أعمارهم الشيخوخة والهرم ممن توفاهم الله بعد أن أخلصوا في خدمة الأسرة، فلماذا لا تكون النتيجة: ٩٩.٩٩ بالمائة فهو يستحق أكثر لكن الأرقام لا تتسع لأكثر!! ❑

CIA وآسيا الوسطى

أوردت CNN نقلا عن مصادر رسمية في جورجيا وكازاخستان، أن مدير المخابرات المركزية الأميركية (CIA) (جورج تنيت) قد زار جورجيا وكازاخستان في ٢٦و٢٧/٣/٢٠٠٠ على التوالي، بعد الانتخابات الروسية التي جرت في ٣/٢٥. وقد أورد المصدر أنه قام كذلك بزيارة سرية للغاية لطشقند في أوزبيكستان، وقد تم التركيز في مباحثات المسئولين في تلك الدول على (المواجهة العالمية للإرهاب) التي تقودها أميركا.

وقد كانت زيارة (جورج تنيت) المذكور بناء على تقرير (ستيفن) رئيس القسم المختص بشئون روسيا والجمهوريات المستقلة والذي قال فيه (إن آسيا الوسطى تواجه خطرا بسبب الإرهابيين المسلمين، حسب زعمه).

ومن الجدير ذكره أن أوزبيكستان تقوم منذ سنتين بحملة مستمرة ضد الحركات الإسلامية وبخاصة حزب التحرير حيث تجاوز عدد المعتقلين من شبابه أربعة آلاف ❑

المؤتمر الخليجي لمناهضة التطبيع

ولد تجمع جديد لمناهضة التطبيع مع إسرائيل وأطلق على نفسه اسم «المؤتمر الشعبي لمقاومة التطبيع مع العدو الإسرائيلي في الخليج». مؤسسو المؤتمر هم سياسيون وبرلمانيون من الكويت والإمارات والبحرين. ومما جاء في البيان التأسيسي: «إن الخطوات المتسارعة لجهود التطبيع بين بعض الدول العربية وإسرائيل انعكست في شكل مباشر على المجتمعات الخليجية حتى تتحول أسواقا خلفية استهلاكية للمنتجات الإسرائيلية».

ودعا المؤتمرون «إلى مقاومة كل أشكال التطبيع مع العدو الإسرائيلي حفاظا على هوية دول الخليج وأمنها ومصالحها» وأشاد بمقاومة اليهود الحاصلة في لبنان وفلسطين. ومن ضمن الاتجاهات السياسية المشاركة في المؤتمر: المنبر الديمقراطي الكويتي (يساريون)، والحركة الدستورية الإسلامية (إخوان)، والحركة السلفية العلمية (السلفيون الجدد)، والائتلاف الإسلامي (شيعة) ❑

فتح الأبواب لليهود في اليمن

بعد أن نفت السلطات الحاكمة في اليمن استقبال أول وفد يهودي عاد الأحمر ليعترف أنه قابل حاخاما يهوديا يحمل جوازا أميركيا، ثم عادت وسائل الإعلام لتتناقل الأنباء ليس عن «سياح» وإنما عن «وفود إسرائيلية تتوالى على اليمن». ففي ٠٨/٠٤/٢٠٠٠ وصل إلى صنعاء ٣٠ يهوديا هم الفوج الرابع للوفود اليهودية الزائرة. وتقول الأنباء إن الحكومة اليمنية قدمت ضمانات لحماية أمن هؤلاء اليهود ومنع تعرضهم لأية مضايقات. ورد مصدر حكومي على تنديد أحزاب المعارضة بزيارات اليهود بالقول: «لماذا يستنكرون على اليمن زيارة بعض اليهود ذوي الأصول اليمنية الأماكن والقرى التي نشأوا فيها، ولم نسمع منهم أية كلمة أو تصريح يتعلق بأية دولة عربية قامت بالتطبيع مع إسرائيل؟»

نعم هكذا هم الحكام أصبحت خيانة البعض حجة للبعض الآخر! ❑

الاستخبارات الألمانية والشيشان

نقلت هيئة الإذاعة البريطانية عبر مراسلها في الشيشان صباح ٠٩/٠٤/٢٠٠٠ أن مسؤولا كبيرا في الاستخبارات الألمانية زار الشيشان وموسكو للتنسيق مع روسيا لمواجهة ما يطلقون عليه «الإرهاب» ويقصدون بذلك تحرك المسلمين هناك ❑

قاض إيراني والسجناء اليهود

نقلت الحياة ٠٩/٠٤ من طهران أن القاضي صادق نوراني (قاضي محكمة شيراز الثورية) قام بزيارة مفاجئة لليهود الموقوفين بتهمة التجسس لحساب إسرائيل، وتمنى للسجناء الجواسيس عيدا سعيدا بمناسبة الفصح اليهودي «عيد النوروز» وتحدث للجواسيس في «مناخ ودي» ❑

هل أباح القرضاوي الربا ؟

هل أباح القرضاوي الربا؟ سؤال يتردد، وثقة تتبدد، بالذين يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال، الذين ينطبق عليهم الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير والبزار بإسناد رجاله رجال الصحيح عن عوف بن مالك عنه ﷺ أنه قال: «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال» ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد الجزء الأول كتاب العلم باب التقليد والقياس.

سؤال يطرح كثيراً، مرة على سبيل الإقرار ومرة على سبيل الإنكار وأمام هذا التباين في الطرح لا بد للمسلم أن لا يقول شيئا قبل التثبت والبحث، لا في ظاهر الموضوع بسطحية، بل بتعمق، فلا مجال للسطحية والقشور في هذا المضمار.

طرح هذا السؤال أحد غيري ولكن منهجه في البحث كان عقيما، فما أحاط بالموضوع فكان كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وخلاصة بحثه أن القول على القرضاوي ووضعه في قفص الاتهام إجحاف مجانب للإنصاف لأنه أفتى بآراء لم تخرج عن دائرة النصوص الشرعية والخلافات الفقهية ـ حسب رأيه ـ وقد نص علماء الشرع في فقه الاختلاف على عدم الإنكار على حامل الرأي الظني ما دامت له ولو شبهة دليل.

وينبغي أن يعلم أن القرضاوي ونقض أقواله ليس المقصد منها مجرد النقض لغاية شخصية وعداء لشخص القرضاوي، ولا غير ذلك، مما قد يتصوره البعض، ولكنها كلمة حق ينبغي أن تقال. كيف لا، وهناك من الناس ما زالوا يأخذون مثل هذه الفتاوى دون أدنى نظر؟ ولقد صدق ابن المقفع حين قال: "لا أجد أحداً أشد استخفافاً بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال ديناً مفروضاً".

فعلى فرض حسن النية، فان زلة العالم من عوامل هدم الإسلام فكيف إذا صدر من عالم، ما يخالف القطعيات، التي هي من المحكمات غير المتشابهات. فلقد روى أبو شامة بسنده إلى أبي زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت لا! قال: يهدمه زلة عالم، وجدال منافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين". فينبغي لكل حريص على نقاء الإسلام وبقائه أن يبين كل ما يخالف القطعيات.

ولا يعترض أحد على تفنيد مثل هذه الفتاوى وإدحاضها، سيما وهو يسمع الحديث الذي رواه الدار قطني في الإفراد عن أنس عنه ﷺ أنه قال: «من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قالوا يا رسول الله وما الغش؟ قال: أن يبتدع لهم بدعة فيعملوا بها».

ونحن حملة دعوة، ولسنا قضاة، لذلك فلا يهمنا بل لا ينبغي لنا الحكم على الشخص أهو من أصحاب الجنة أم من أصحاب النار، لأن ذلك سيكون في محكمة العدل الإلهية، وما هو من عملنا هو الحكم على الأفكار والأحكام والآراء، أإسلامية هي أم لا؟ ونحاكم الآن قول القرضاوي في محكمة النصوص الشرعية، القاضي في هذه المحكمة هو القرآن والسنة، والشهود أقوال القرضاوي نفسه، والمدعي هو نحن الحراس الأمناء على هذه العقيدة.

وينبغي أن يعلم أيضا أن الذين يريدون أن يدخلوا في الإسلام ما ليس منه لن يأتوا ويعلنوا صراحة مثلا: الربا مباح، سيما والتحريم ظاهر للعيان في آي القرآن، بل يأتوا ويقروا هذه الآية ويقروا تحريم الربا ولكن يقولون: إن الربا المحرم هو الذي يكون أضعافا مضاعفة وليس الربا القليل، بتأويل للآية ﴿لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ فيحرم مثل هذا الربا

ويحلل الربا القليل ٥% أو ٧% مثلاً.

هذا مع العلم أن كل من لديه إلمام بأبحاث اللغة وأقسام الكتاب والسنة يعلم أن هذا الوصف (أضعافاً مضاعفةً) ليس تخصيصاً للربا، فلا يعمل بمفهوم الآية الكريمة بل بمنطوقها فقط لأن مفهومها أي حصر التحريم في الأضعاف المضاعفة ـ هذا المفهوم معطل من وجهين:

الأول: خروجه مخرج الغالب، لأن الغالب في الربا في ذلك الوقت كان الأضعاف المضاعفة وما يخرج مخرج الغالب، لا يعمل بمفهوم المخالفة له، فلا يقال إن الربا، إن لم يكن أضعافا مضاعفة، حلال، بل لا يعمل هنا بمفهوم المخالفة، لخروجه مخرج الغالب، ويكون الربا حراما، أضعافا مضاعفة أو غيرها.

وكل ما خرج مخرج الغالب، لا يعمل بمفهوم المخالفة له فمثلا: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾ فإن مفهوم المخالفة يعني أنها إن لم ترد تحصنا يجوز إكراهها، وهذا لا يصح بحال، أرادت التحصن أم لم ترد، لأن هذا الوصف خرج مخرج الغالب، في ذلك الوقت، فقد كن غالبا ما يكرهن على البغاء وهن يردن تحصنا. ولذلك لا يعمل بمفهوم المخالفة في هذه الحالة.

أما الوجه الثاني لعدم العمل بمفهوم المخالفة للآية ﴿ولا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾، فهو أنها عطلت بنص بعدها وهي آية تحريم الربا في جميع حالاته، على العموم ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾، وآيات الربا في سورة البقرة من آخر ما نزل من أحكام الربا ولم ينزل بعدها ما يخصصها.

وإذا عطل المفهوم بنص لا يعمل به.

فمثلا قوله تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فمفهوم المخالفة أنكم إذا أمنتم فلا يصح لكم أن تقصروا في السفر.

لكن هذا المفهوم قد عطل بحديث رسول الله ﷺ لما سئل عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»، فصار القصر في السفر جائزا في الأمن والخوف.

هذان الوجهان قد جعلا العمل في الآية الكريمة ﴿ولا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ هو فقط في منطوقها وليس في مفهوم المخالفة. ولذلك فالربا حرام، كثيره وقليله سواء.

إن أولئك (المفتين) الذين قالوا بتحريم الربا الكثير فقط، لا شك يدركون أن الآية لا تسعفهم في ذلك، لكنهم يدسون السموم لهذه الأمة بأساليب تضليلية.

والآن نبدأ في موضوعنا فنقول وبالله التوفيق:

ذكر القرضاوي في برنامج الشريعة والحياة التلفازي بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٦م وكانت الحلقة بعنوان "الشركات المساهمة" ـ علما بأن للقرضاوي موقعا على الإنترنيت، فقوله متجدد يطلع عليه كثيرون ـ لقد ذكر ما يلي:

الشركات التي حدث فيها الخلاف هي الشركات التي يكون أصل عملها ونشاطها مباحا مثل شركة الإسمنت، شركة الكهرباء، شركة النفط، شركة الاتصالات، هذه الشركات أصل عملها لا حرج فيه (...) إنما الشبهة تأتي من أنها قد يفيض عندها بعض المال فتودعه في البنك الربوي (...) ومعنى ذلك أنها تأخذ عليه فوائد، وقد تكون هذه الشركات أيضا تحتاج إلى بعض المشروعات فتستقرض لها بالربا، فعملها حلال ومباح أساسا ولكن الربا قد يدخل عليها في الطريق. هنا الفقهاء في عصرنا مختلفون في هذه القضية، فأكثر العلماء يمنعون (...) وهناك فريق من العلماء أو الفقهاء من أباح بشروط، وأنا و د. عبد الستار و د. علي القره داغي من هؤلاء، أهم هذه الشروط ألا يكون التعامل بالربا كثيرا، والكثرة والقلة هذه عملية نسبية، البعض قال إنه لا يصل إلى ٣٠% لأن الرسول ﷺ قال

«الثلث والثلث كثير» قال ٣٠% يعتبر أقل من الثلث (...) أصبح كثير من الفقهاء يعتبر "الثلث كثير" في أي شيء لأن اللفظ العام فهو كان في قضية الوصية ولكن قال «الثلث والثلث كثير» فهذا بالألف واللام يعتبر من ألفاظ العموم والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنا شخصيا أرى أن ٣٠% كثيرة وأرى أنه لابد أن نقلل أكثر مثلاً ١٥% معقول، فهذا ضابط. (...) الأمر الثاني أن يكون هناك هدف من وراء الاشتراك خصوصاً مثل الشركات التي تكون في البلاد الإسلامية فهذه الشركات لا ينبغي أن نتركها لغير المسلمين، في بعض البلاد هناك أقليات غير إسلامية، هل المسلمون المتدينون يتركون هذا لغير المسلمين وينسحبون من هذا الميدان تماماً، أو يتركونها للآدينيين والمتحللين ومن لا دين لهم ولا خلق وتصبح هذه المؤسسات مفرغة من العنصر المسلم الملتزم هذا خطر أيضا.

المقدم: إذن أنت تدعو أن يغزو المسلمون هذه المؤسسات رغم أنها تتعامل بالربا.

القرضاوي: نعم وربما نستطيع إذا كنا العنصر المتدين فيها أننا نختار مجلس إدارة يقرر عدم التعامل بالربا (...) ثم هناك أمر ثالث وهو أنه إذا لم نستطع أن نصل إلى هذا الحد فعلينا أن نخرج ما يقابل الفوائد الربوية من الأرباح، فأنت إذا دخلت في هذه الشركة ولم تستطع أن تحولها إلى إسلامية تماما وكان عندها مال فائض عندها ووضعته في البنك الربوي وهذا المال أخذت عليه فائدة، ممكن نعرف عن طريق إما ميزانية الشركة المنشورة أو عن طريق سؤال المحاسبين المتخصصين كم تساوي هذه النسبة، فيقول لك تساوي ١٠% أو ٢٠% فهذه النسبة على المسلم أن يتطهر منها ويخرجها ولا يدخلها في ماله الخاص.

(...) إذا لم يستطع الإنسان يسأل بعض المتخصصين حتى من المحاسبين في الشركة ويستطيع أن يعرف، وأفترض في النهاية أنه لو جهل فيخرج بالاجتهاد يقول والله أقدّر ٢٠% أو٢٥% وأخرجها من هذه الشركة ويقول "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك".

لقد أسهبت في النقل لأري القارئ خطر الموضوع وأهميته، وأقول تعليقا على قوله وبالله التوفيق:

١) إنَّه افترض أنَّ الربا المحرم هو الربا الكثير، ثم بدأ يبحث تعيين وتحديد هذا الكثير. وقد بينا في المقدمة، كيف أن الآية الكريمة لا تسعف أولئك القائلين بتحريم الربا الكثير فقط، ولا شك أنهم يدركون أن مدلول الآية على غير ما أولوه، ولكنهم يَضلون ويُضلون على علم وهم أكثر خطورة ممن يضلون على جهل.

٢) والآن سنستعرض فتواه فهو لم يعتمد فيها على الدليل، ولكنه قد ذكر حديثاً واحداً وقاعدة شرعية واحدة وذِكرُهُما كان لتسويغ فتواه بوجه لا يحتمله النص وكان ليّاً لأعناق النصوص، إن لم يكن أكثر، وكأنه يعتبر عقله مصدراً من مصادر التشريع قادراً على نسخ وتقييد وتبيين وتعميم وتخصيص وإطلاق النصوص الشرعية، هكذا من عقله دون اعتماد على نص، وهنا لا يقال إنه مجتهد فيحق له ذلك، وكما يشيع على السنة كثير من العامة والمتفيقهة أن الاجتهاد مصدر تشريعي أقول: إن الاجتهاد موجود في هذا الدين ولكنه لا يسمى مصدراً تشريعيا ولا هو كذلك وإنما الاجتهاد بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية أي أن الاجتهاد هو اعتماد على النصوص الشرعية بفهمها حسب اللغة العربية وقواعد الأصول، لاستخراج حكم شرعي، وبلوغ الإنسان مرتبة الاجتهاد لا يعني أنه يجوز له أن يقول من غير دليل، كلا فهذه فكرة منتشرة

عند البعض لا يجوز أن تبقى.

٣) ذكر في كلامه الحديث الشريف «الثلث والثلث كثير» والقاعدة الشرعية "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ولكنه وضعها في غير موضعها.

أما الحديث فهو في موضوع الوصية ولا يقبل أن يستدل به على غير الموضوع الذي ورد فيه، صحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولكن العبرة بخصوص الموضوع فالسبب للحديث هو مناسبة قوله، أي الحادثة التي حصلت وكانت سببا لقول الرسول ﷺ أو فعله أو تقريره.

فعندما مر الرسول ﷺ ورأى شاة ميمونة ميتة قال «أيما إهاب دبغ فقد طهر» فليس إهاب شاة ميمونة فقط إذا دبغ طهر، بل هذا عام، فمرور النبي ﷺ بهذه الشاة الميتة هو السبب وليست العبرة به وإنما العبرة بعموم اللفظ.

وقول الرسول هنا موضوعه (طهر الإهاب إذا دبغ) فلا ينبغي لنا أن نأتي بهذا الحديث ونستدل به على الانتفاع بلحمها ـ حتى ولو لغير الأكل ـ أو غير ذلك مستدلين بقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" لأن العبرة بخصوص الموضوع. وقوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، سبب نزوله ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ابن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال. فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث، كذا في أسباب النزول للسيوطي.

أيصح لنا أن نقول استناداً إلى هذه الآية إن العطايا والمنح والهبات التي يقدمها الرجل لأبنائه في حياته ينبغي أن تكون للذكر مثل حظ الأنثيين ونعتمد على القاعدة (العبرة بعموم اللفظ) لأن أولادكم لفظ عام لأنه مضاف ومضاف إليه.

والإضافة تفيد العموم أيصح لنا ذلك؟ إن جعل حصة الذكر مثل حظ الأنثيين خاص بالإرث فلا ينبغي أن يتعدى ذلك ويستدل به على غير هذا الموضوع.

وفي موضوع ولاية المرأة فيما رواه البخاري عن أبى بكرة قال: «لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فهذا ليس خاصا بتلك الحادثة وبنت كسرى بل هو نص يفيد تحريم ذلك لكل امرأة للقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ولكن هل يجوز لنا أن نقول إن الولاية سواء أكانت في الحكم كبنت كسرى أو كانت في غير الحكم كالولاية على الصغير والصبي والعمل في القضاء والتوكيل والوكالة محرمة على المرأة؟ أيحرم أن نوكل امرأة بشيء ما كشراء وبيع؟ أيحرم أن تكون لها ولاية على الصغير والصبي وأن تعمل في القضاء؟ كلا... ما ينبغي ذلك لأن العبرة بعموم اللفظ هي بخصوص الموضوع الذي تحدث عنه الرسول ﷺ وهو الحكم. فلقد روي أن عمر بن الخطاب ولى امرأة من قومه تدعى (الشفاء) قضاء السوق، وكان ذلك على مرأى من الصحابة.

من ذلك ينبغي أن يعلم أن قول الرسول ﷺ «الثلث والثلث كثير» هو خاص في موضوع الوصية وعام لجميع المسلمين وليس للسبب والحادثة التي قيل فيها.

٤) قوله: (أصبح كثير من الفقهاء يعتبر "الثلث والثلث كثير" في أي شئ) يوهم السامع والقارئ أن هناك من الفقهاء من قال بذلك.

حتى النص والحديث «الثلث والثلث كثير» الذي لوى عنقه وأوله تأويلا لا يحتمله، أقول: حتى هذا الحديث لم يستمر في بناء فتواه عليه وذلك أن الحديث ـ حسب فهم القرضاوي ـ يسمح بالثلث ولا يعتبر الأقل منه كثيراً، ولكن القرضاوي بعدها يقول "وأنا شخصيا أرى أن ٣٠% كثير وأرى أنه لا بد أن نقلل أكثر مثلا ١٥%

معقول فهذا ضابط". فالحديث حسب تأويل القرضاوي الباطل يسمح بالثلث ولكن القرضاوي "يرى" أن يقلل من ٣٠% إلى ١٥% وتناسى النص «الثلث والثلث كثير» فلم يجعل المعيار (الثلث ولا الربع وإنما أتى بمعيار رآه معقولاً وهو ١٥% أي السدس تقريباً، فالتأويل الباطل (الثلث والثلث كثير) لم يسر عليه، وسار على عقله الذي حدد (السدس والسدس كثير) والجريمة أنه يقول: "١٥% معقول هذا ضابط" فكأن القضية تنتظر حكم العقل وليست قضية شرعية تحتكم إلى النصوص، وقوله: "هذا ضابط" جريمة أكبر إذ هو بذلك يجعل رأيه العقلي ضابطا للسلوك ومحددا له ويصفه بهذا الوصف وكأن من سار عليه كان منضبطا.

بهذه الفتوى وبهذا المنطق يبيح القرضاوي للمسلم أن يكون شريكاً في شركة مساهمة ولو كانت هذه الشركة تودع أموالها في البنوك الربوية ولو كان جزء من أرباحها آت من الربا (الفوائد) على أموالها في البنوك، ولكنه يشترط شرطاً وهو ألا يكون التعامل بالربا كثيراً!!! ولكنه يحرم أن يكون المسلم شريكاً في شركة تكون نسبة الربا ـ على أموالها في البنوك ـ من أرباحها كثيرة.

تناقض غريب:

في فتواه هذه بَيّنَ أن الحد الفاصل أو النسبة التي تعتبر قليلة وما فوقها كثير هي ١٥% ولكنه يناقض نفسه في قوله بالنسبة لمن جهل نسبة الربا من أرباح الشركة فيقول في هذه الحالة: "لو جهل فَيُخرِج بالاجتهاد يقول: والله أقدّر ٢٠% أو ٢٥% وأخرجها من هذه الشركة "ويقول "دع ما يريبك إلى مالا يريبك" وهنا تناقض من ناحيتين:

أولاً: أنه يقول بأن النسبة القليلة ١٥% فكيف يجيز لمن كان في شركة نسبة الربا في أرباحها ٢٠% أو٢٥% البقاء فيها!!!

ثانياً: كيف يعرف الإنسان نسبة الربا من أرباح الشركة قبل أن يشترك بها وقبل أن تقوم بالعمل الذي من شأنه أن يأتي بالربح وهب أنها في مشاريعها لم تربح ولم تخسر وكانت أرباحها فقط من ناحية أموالها في البنوك (أي كانت أرباحها ١٠٠% ربا، أليس هذا محتملاً).

وللأسف يستدل على قوله بالحديث «دع ما يريبك إلى مالا يريبك» فأين الذي فيه الريب بل إنه يقين، أليس هو الاشتراك في مثل ما أباحه القرضاوي.

ومن الجدير ذكره، أننا لم نتطرق إلى عقد الشركة المساهمة وأنه باطل من أساسه سواء أتعاملت الشركة المساهمة بالربا أم لم تتعامل، فليس هذا مجاله، وإنما قصرنا البحث على ما ورد في فتواه، لنبين نموذجاً من خطورة فتاوى مثل هؤلاء، وكيف أنهم يحكمون عقلهم في شرع الله، اتباعاً للهوى، دون دليل أو شبهة دليل.

وفي النهاية لعلمي أن هناك من البسطاء من سينكر أن القرضاوي قال مثل هذا القول أقول له بإمكانك أن تذهب لعنوان القرضاوي على الإنترنت قسم الشريعة والحياة وترى ما قاله في حلقة الشركات المساهمة ١٩٩٨/١٢/٦ وسترى صدق ما قلت. وستعلم أن هذه المجلة الغراء لا تفتري على المسلمين وإنما هو الواقع تصدق في وصفه.

ولعل صنفاً من الناس يقول: صحيح أن القرضاوي يفتي بمثل هذه الفتاوى ولكن دعوةٌ وشأنه ولا تتشروا للأمة أقواله ونقضها، وأقول لهؤلاء إنكم أحد صنفين، إما مخلص غير مدرك لخطر هذا الطرح أو خبيث متآمر على الإسلام يريد تمرير الفتاوى الباطلة على هذه الأمة.

فكيف يُسْمَحُ بالتشهير والتحذير ممن يخرب على المسلمين دنياهم ولا يسمح بالتحذير وإظهار من يخرب على المسلمين دينهم، فأيهما أولى وأيهما أخطر؟ تم بحمد الله ❑

أيمن ــ الخليل

الجهاد من خلال النصوص الشرعية

أ ـ الجهاد في الوضع اللغوي:

«الجهاد» مصدر الفعل الرباعي: جَاهَدَ، على وزن «فِعال» بمعنى «المفاعلة» من طرفين. مثل الخِصَام بمعنى المُخَاصَمَة مصدر «خاصم». والجدال بمعنى المجادلة، مصدر «جادل»، والفعل الثلاثي للكلمة هو «جَهِد». ويضبط صاحب القاموس المصدر الثلاثي ومعناه فيقول: «الجَهد: الطاقة، ويُضَمُّ، والمشقة» وفي لسان العرب: «قيل: الجَهد «بالفتح» المشقة، والجُهد «بالضمّ» الطاقة، وفيه: الجهاد: استِفرَاغُ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل».

ويقول صاحب المُنجد: «جاهَدَ مُجَاهدةً وجهاداً: بذل وُسعَه، والأصل: بذل كل منهما جهده في دَفعِ صاحبه» وفي شرح القسطلاني على صحيح البخاري: «الجهادُ بكسر الجيم، مصدر جاهدت العدو مجاهدة، وجهادا، وأصله: جيهادا، كقيتالا، فخفف بحذف الياء، وهو مشتق من الجهد، بفتح الجيم، وهو التعب، والمشقة، لما فيه من ارتكابها، أو من الجهد بالضم، وهو الطاقة، لأن كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه» وفي تفسير النيسابوري: «والصحيح أن الجهاد: بذل المجهود في حصول المقصود».

وبعد هذه النقول حول المعنى اللغوي لكلمة «الجهاد». نستطيع أن نضع تعريفاً لغوياً، يكون هو الحقيقة اللغوية للفظ «الجهاد» فنقول:

«الجهاد: هو استفراغ الوسع في المُدَافَعَةِ بين طرفين ولو تقديراً». ونعني بالتقدير: جهاد الإنسان لنفسه، بتقدير أن الإنسان يشتمل على طرفين في نفسه حين تتصارع فيها رغبتان متناقضتان، كلٌ تجاهد في سبيل الغلبة على الأخرى. وهذا التعريف جمعنا فيه بين ما جاء في «لسان العرب» و«شرح القسطلاني»، وأضفنا إليه «ولو تقديراً» زيادة في الإيضاح.

وبناءً على هذا التعريف اللغوي: قد يكون الوسع المبذول فعلاً مادياً بسلاح، أو بغير سلاح، وبدفع مال، أو بعير مال. ـ وقد يكون قولاً ـ وقد يكون بالامتناع عن الفعل، والقول، كمن يمتنع عن طاعة والديه فيما يأمرانه به من معصية، ويصبرُ على إلحاحِهما في طلب ذلك منه، وكمن يعفُّ عن إشباع شهوة حرام وقد نازعته نفسه إليها. وفي هذا ما جاء في حاشية الجَمَل على الجلالين: «الجهادُ: هو الصبر على الشِّدة، وقد يكون في الحرب، وقد يكون في النفس».

وبناءً على هذا التعريف اللغوي أيضاً:

قد يكون الطَرَفُ الآخر الذي يجاهده المسلم هو النفس، أو الشيطان، أو الفساق، أو الكفار.

وبهذا المعنى اللغوي أيضاً قد يكون الجهاد في سبيل الله، كجهاد المسلم ابتغاء مرضاة الله، وقد يكون الجهاد في سبيل الشيطان كجهاد الكفار لغيرهم، لأن الجهاد ـــ كما يقول النيسابوري ـــ: بذل المجهود في حصول المقصود» بغض النظر عن طبيعة المقصود الذي يستهدفه صاحب الجهد المبذول. وقد استعمل القرآن فعل «الجهاد» في وصف نشاط الكفار من الآباء، لصرف المؤمنين من أبنائهم عن الإيمان: قال الله تعالى: ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، إلي مرجعكم...﴾، وقوله: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً...﴾ الآية.

ب ـ الجهاد في الوضع الشرعي:

إن لفظ «الجهاد» نقله الشرع في الكتاب والسنة من مَعنَاه اللغوي العام ـ كما سلف ـ وقَصَره على معنى خاص هو: «بَذلُ الوُسع في القتال في سبيل الله، مباشَرَةً، أو مُعَاوَنَةً بمالٍ، أو رأيٍ، أو تكثير سواد، أو غير ذلك...» ويبدو أن هذا المعنى الخاص للجهاد، إنما كان في «المدينة»، أما في «مكة» فلم يكن تشريع الجهاد قد أنزِل بَعدُ، ولهذا، فإن مادة «الجهاد» في الآيات المكية تدل على معناها في الوضع اللغوي العام. وهي ثلاث آيات في سورة العنكبوت: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه...﴾ الآية، ﴿وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما...﴾ الآية، ﴿والذين جاهدوا فينا لَنَهدِيَنَّهم سبلنا...﴾ الآية.

وفي سورة لقمان المكية آية واحدة، هي: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما...﴾ الآية، وأما آية الجهاد في سورة النحل المكية فقد تضمنت ذكر الهجرة ما يدل على أنها آية مدنية ضمن سورة مكية، وهذا ما ذكره المفسرون، والآية هي: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا، ثم جاهدوا، وصبروا، إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

وأما مادة «الجهاد» في الآيات المدنية فبلغت «٢٦» كلمة وأكثرها يدل دلالة واضحة على معنى القتال، فمن ذلك في سورة النساء ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ وواضح في هذه الآية كون «الجهاد» بمعنى الخروج للقتال، وتفضيله على القعود وعدم الخروج، ومن ذلك في سورة التوبة الآيات التالية: ﴿إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾، والأمر بالجهاد بعد الأمر بالنفر ـ الذي هو الخروج ـ يعني أن الجهاد هو القتال، وما إليه... ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾، ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾، ومن ذلك أيضاً ما جاء في سورة الصف بعد ذكر القتال في مطالعها ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾... بعد ذلك تأتي الآيتان (١٠) و(١١) ترغبان في هذا القتال باسم «الجهاد»: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

هذا فيما يتصل بمادة «الجهاد» في الآيات المدنية، ونرى فيها بوضوح أنها تدل على القتال خاصة ـ مع ما يستلزمه القتال بطبيعة الحال من بذل للمال الذي لا بد منه للحصول على أدوات القتال أو السير إليه، وتقديم شرط مشروعيته عليه، وهو تبليغ الدعوة للكفار؛ «لأن هذا [أي، تبليغهم الدعوة] شرط لأصل القتال»، كما جاء في مغني المحتاج[1].

هذا، وقد جاء في السنة النبوية لفظ «الجهاد» بهذا المعنى الشرعي أيضاً، وهو القتال وما يمت إليه. عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، أخبرنا بعمل يَعدِل الجهادَ في سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ لا تطيقونه، قالوا: يا رسول الله: أخبرنا فلعلنا أن نطيقه، قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع المجاهد إلى أهله» وواضح من سياق الحديث أن السؤال كان عن المجاهد ـ بمعنى المقاتل في سبيل الله خاصة ـ والجواب دل على هذا المعنى أيضاً بقوله: حتى يرجع المجاهد إلى

أهله، أي يرجع من القتال. وعن جابر قالوا: يا رسول الله: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال من عُقِرَ جَوادُه وأهرق دَمُه! وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحُد جَعَل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، تَرِدُ أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتسرح في الجنة حيث شاءت فلما رأوا حُسنَ مَقيلهم ومَطعَمِهم ومشربهم قالوا: يا ليت قومَنا يعلمون ما صنع الله لنا كي يرغبوا في الجهاد، ولا يَنكُلوا عنه قال الله تعالى: فإني مُخبِرٌ عنكم، ومُبلِّغٌ إخوانكم ففرحوا واستبشروا بذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وأنَّ الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾.

وهكذا يتضح لنا من هذه النصوص الشرعية وكثير مثلها أنَّ «الشرع» نَقَل لفظ «الجهاد» من المعنى اللغوي العام إلى معنى خاص، وهو القتال في سبيل الله، وما يمت إليه ـ كما تقدم ـ فضلاً عن الكلمات الأخرى التي تدور في فلكِ معنى الجهاد، كالحرب والغزو والقتال...، ومن هنا فإن المصادر الشرعية تواردت على تعريف الجهاد بالقتال في سبيل الله، وهذه بعضُ النقول من كتب الفقه التي عالجت المعنى الشرعي للجهاد والأحكام المتصلة به.

ـ جاء في بدائع الصنائع، للمذهب الحنفي ما يلي: (أما الجهاد في اللغة فعبارة عن بَذل الجهد. وفي عرف الشرع: يستعمل في بَذل الوُسع والطاقة بالقتال في سبيل الله ـ عز وجل ـ بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك...).

ـ وفي منح الجليل، للمالكية: (الجهاد: أي، قتال مسلم كافراً غير ذي عهد، لإعلاء كلمة الله تعالى أو حُضُورُه له [أي: للقتال] أو دُخُوله أرضه [أي أرض الكافر] له [أي: للقتال] قاله ابن عرفة.

ـ وعند الشافعية: في «الإقناع» في تعريف الجهاد: (أي: القتال في سبيل الله) وقرر الشيرازي في «المهذب»: (أن الجهاد هو القتال).

ـ أما في «المغني» للحنابلة، فإن ابن قدامة: لم يتحدث في (كتاب الجهاد) عن أي معنىً آخر، غير ما يتصل بالحرب، وقتال الكفار، سواءٌ أكان فرض كفاية، أم فرضَ عين، أم كان في صورة حِراسَةٍ للمؤمنين من العدو، ورباطٍ على الحدود والثغور، ومن ذلك قوله: «الرباط أصل الجهاد وفرعه» وقوله: «إذا جاء العدو صار الجهاد عليهم فَرض عين... فإذا ثبت هذا فإنهم لا يخرجون إلا بإذن الأمير لأن أمر الحرب موكول إليه».

وهكذا فقد انتقل لفظ «الجهاد» من معناهُ اللغوي إلى المعنى الشرعي، حتى صار هذا اللفظ عند إطلاقه لا يفهمُ منه إلا معنى القتال.

والذي نأسف له هو حال هذه الأمة المهزومة حيث صار لفظ الجهاد لديها يمثل حرجاً كبيراً. فهي لا تريد أن تتناوله بالنقاش مع خصومها، فضلاً عما تحاول إلصاقه من تفاسير خاطئة وزائفة لهذا المفهوم إذ لم يبق صافياً ولا نقياً كما جاءت به النصوص الشرعية وكما شرحه جمهور العلماء؛ بل إن ضعفها الفكري والمادي خول لها إدخال تفاسير غريبة على معناه الشرعي ما أدّى إلى انقسام المسلمين بين مُفرِطٍ ومُفَرِّط. فمنهم من انحدر به التفكير إلى جعل الجهاد مجردَ دفاع عن النفس والهوية ــ فهو بالتالي حرب دفاعية وليس حرباً هجومية؟ ومنهم من يقول إن الجهاد هو مجاهدة النفس ومقاومة الأهواء، وهذا ما يسمى عندهم بالجهاد الأكبر الذي يَفضُلُ الجهادَ الأصغر ألا وهو القتال ؟ بينما فريق آخر نحا منحى الغلو والتشدد فصوّر كل أنواع القتال الذي يحصل بين الناس على أنه من صميم الجهاد الشرعي الذي جاء ذكره في الكتاب والسنة.

فالجهاد الذي كان يمثل واقعاً عَقَدياً مميزاً، ومفهوماً متجذراً في ذهن الأمة التي كانت ترى فيه الطريقة العملية التي بِحَسَبها تتجسد الفكرة الإسلامية على أرض الواقع، انقلب في ذهن الجيل الحالي إلى فكرة مبتذلة ومشوشة قلَّ من يُعنى نفسه بمناقشتها، حتى غلب عليها التقاعس والتخاذل وران على قلبها الخوف من

العدو. فماتت فيها حينئذ حمية الدين وبغض الكفار، وحل محلها حمية الجاهلية والعصبية العرقية والوطنية وعادت بغيضة لبعضها البعض!

وبما أن هذه الأفهام الخاطئة قد شاعت بين المسلمين وغاب عن أذهان أكثرهم ذاك الفهم المميز والنقي لفكرة الجهاد ومات فيهم هذا الحافز فإنني رأيت من الضروري أن أضع بين يدي شبابنا هذه المناقشة الفكرية الموجزة، قاصدا من ورائها إدحاض الشبهات ورد الافتراءات وشحذ الهمم.

إلا أنني في تعرضي لفكرة الجهاد ولكل حالة من حالات الاقتتال، لوضعها في المكان المخصوص بها؛ اخترت أن أعتمد الاختصار ـ كما قلت ـ لكي لا أطيل على السامع أو القارئ مشقة المتابعة، ولا أضنيه معي في البحث والتنقيب عما ورد في كتب الفقه والعلم والفكر. حتى نتبين سويا وجه الخطأ من الصواب، بما استقر عندنا من أدلة قوية وشروح مفصلة لا غبار عليها ولا التباس حولها.

ولنأخذ أولا ما يدور على ألسنة الناس في هذه الأيام حول هذه المسألة:

فإن أكثرهم اليوم يقسم الجهاد إلى قسمين: قسم يتعلق بالجهاد الأكبر، وهو مجاهدة النفس والهوى والشيطان، وما شاكل ذلك. وقسم يتعلق بالجهاد الأصغر، وهو مجاهدة الكفار وقتالهم.

ويستدلون على ذلك بعدة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ وقوله: ﴿وجاهدهم به جهادا﴾ وقوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وقوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس» وفي رواية أخرى قال: «قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه».

فأقول صحيح أن هناك مجاهدةً للنفس، ولغير النفس، كمجاهدة الشيطان والفساق، إلا أنها ليست أفضل من مجاهدة الكفار، ولا أكبر عند الله ـ عز وجل ـ من مجاهدة الكفار، ولا تلغيها، ولا تسقطها، بل هي قائمة وماضية إلى يوم الدين. كما أن جهاد النفس ماضٍ إلى يوم الدين.

إلا أنه يجب أن يعلم أن أدلة مجاهدة النفس غير أدلة مجاهدة الكفار، وأن لكل منهما حالة تختلف عن الأخرى، فمجاهدة النفس غير مجاهدة الكفار، ولا يجوز أن نخلط بينهما، أو أن نستدل بإحداهما على الأخرى، أو نستبدل إحداهما بالأخرى، فلا غنى عن كل منهما في موضعه، فكل منهما واجب في موضعه.

وعلى هذا فالقول: إن مجاهدة النفس أفضل أو أكبر عند الله، من مجاهدة الكفار خطأ محض وهو قول خطير مخالف لمفهوم الجهاد في سبيل الله، وإلغاء له، وهو مردود من عدة وجوه:

ـ الوجه الأول: أن للجهاد معنيين، أحدهما لغوي والآخر شرعي ـ كما بينا ذلك أعلاه ـ وأن مجاهدة النفس تأخذ المعنى اللغوي وليس الشرعي.

ـ الوجه الثاني: أن الأدلة التي يستدلون بها على أن مجاهدة النفس أكبر وأعظم من مجاهدة الكفار لا تصلح دليلاً على المسألة، وذلك من واقع الأدلة نفسها.

فالحديث الذي يستدلون به لا يصلح دليلاً على ادعائهم، بأن الجهاد هو مجاهدة النفس لا غير أو أنه أعظم أو أكبر عند الله من مجاهدة الكفار وذلك من وجهين:

الأول: أن الحديث مردود رواية، والثاني: أن الحديث مردود دراية.

أما رده رواية فذلك أن الحديث ضعيف[٢].

وأما رده دراية، فلتعارضه مع النصوص القطعية التي توجب الجهاد في سبيل الله وتجعله من أعظم الأعمال وهي على ثلاثة أضراب:

الأول منها: الآيات التي تتكلم عن فضل الجهاد في سبيل الله وأنه من أعظم الأعمال. كقوله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾، وقوله: ﴿الذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾.

الضرب الثاني: الآيات التي تمدح الجهاد والمجاهدين في سبيل الله.

قال الله عز وجل: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله، فيَقتُلون ويُقتَلون﴾ وقال: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾.

الضرب الثالث: الآيات التي تذم وتتوعد المتخلف عن الجهاد والتارك له والمتقاعس عنه.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً﴾ وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

هذا بالإضافة إلى أقوال الرسول ﷺ والتي تدل على أن أعظم الأعمال إلى الله هو الجهاد في سبيل الله والقتال ضد الكفار.

قال عليه الصلاة والسلام: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» وقال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها».

وقال: «إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله»، وغير ذلك كثير.

وعليه فإن ما ورد من نصوص، ليدل دلالة واضحة على أن الجهاد في سبيل الله هو من أعظم الأعمال، وفي أعلى الدرجات، والقرائن كلها تدل على ذلك، فالمدح والذم وترتيب الثواب والعقاب، كلها قرائن تدل على الجهاد في سبيل الله أعظم وأكبر وليس مجاهدة النفس. وعلى هذا فإن الحديث يرد دراية لتعارضه مع النصوص القطعية، ويبطل الاحتجاج به، بأن مجاهدة النفس أعظم من مجاهدة الكفار.

وأما بالنسبة لما يروج من أن الجهاد في الإسلام حرب دفاعية لا هجومية، بدليل قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ وقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ وقوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾.

أقول إن هذا الكلام أيضاً مغلوط ومردود واحتجاج في غير محله، وذلك للأسباب التالية:

السبب الأول: أن أدلة الجهاد أدلة عامة، ومطلقة، تشمل الحرب الدفاعية والحرب الهجومية، أي مبادأة العدو بالقتال، وتشمل الحرب الوقائية، وغير ذلك، فهي تشمل كل أنواع القتال للعدو، لعمومها وإطلاقها، فتخصيصها أو تقييدها لتكون خاصة بالحرب الدفاعية لا الهجومية، فإنها تحتاج إلى نص يخصصها أو يقيدها، ولم يرد أي نص يخصصها أو يقيدها لا في الكتاب ولا في السنة، فتبقى إذاً على عمومها تشمل كل حرب من الحروب، وكل قتال للعدو.

فكان إذاً استدلالهم بالآية التي تقول: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...﴾ استدلالاً باطلاً. ومثلها الآيات الأخرى، فإنها لا تصلح لأن تخصص عموم آيات سورة التوبة ولا أن تقيد مطلقها لأنها آخر ما نزل في الجهاد، والمتقدم لا يخصص المتأخر ولا يقيده، فلا بد من نص يخصص أو يقيد ويكون متأخراً عن النص المطلق أو العام أو مصاحباً له، حتى يكون حالة تختلف عن الأخرى ـ فقوله ـ ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ يعني في حالة الصلح، وقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون﴾ في حالة الحرب والقتال، والصلح والقتال حالتان باقيتان، ولم تنسخ إحداهما الأخرى.

السبب الثاني: بالإضافة إلى ذلك كله فإن في أقوال الرسول وأفعاله ﷺ ما يدل دلالة قاطعة أن الجهاد، هو بدء الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله، ولنشر دعوته قال عليه الصلاة

والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وكان ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ، إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: «اغزوا بسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، وادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين... إلى آخر الحديث، حيث يقول: وإن أبوا (أي كل ما عرضته عليهم) فاستعن بالله وقاتلهم».

أما أفعاله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي طافحة بالأعمال التي تدل على ذلك، فخروجه إلى بدر ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأخذ قافلة قريش هو خروج للقتال، وهذه مبادأة بالقتال دون أن تبدأ قريش بقتال الرسول والمسلمين أو الاعتداء على المدينة حتى يدافع عنها المسلمون، وغزوه لهوازن في موقعة حنين، وفي حصاره للطائف، وموقعة مؤتة لقتال الروم، وموقعة تبوك، كل هذا كفيل بإثبات أن الجهاد هو مبادأة الكفار بالقتال، ورد القول بأن الجهاد هو حرب دفاعية.

السبب الثالث: إجماع الصحابة على أن الجهاد هو القتال في سبيل الله لنشر الإسلام، وأنه مبادأة بالقتال، ويكفي دليلاً على ذلك، فتح العراق وفارس والشام ومصر وشمالي إفريقيا، فإنها كلها فتحت في عهد الصحابة وبإجماع منهم.

وعليه فكل ما ذكرناه من أدلة كفيلة بإسكات كل من يزعم أن الجهاد هو حرب دفاعية.

وهنا لا يفوتنا أن نسجل ما يشعر به بعض المتمسلمين من حرج حينما يناقشهم خصومهم في مسألة الجهاد، فتراهم لا يستطيعون الرد على تجنّيهم ولا الرد على طعنهم في الإسلام وخاصة حول ما يقال في الجهاد الشرعي، إذ يعتبر الجهاد عند هؤلاء الطاعنين ـ ومنهم المستشرقون ـ، فكرة وحشية بربرية تنطوي على أعمال عدوانية فاحشة تستهدف الشعوب الآمنة الضعيفة بقصد الهيمنة عليها وحملها على اعتناق الإسلام بحدّ السيف والإكراه !!

نعم إن المسلمين يتحرجون كثيراً من هذه المسألة ويتحاشون النقاش فيها مع خصومهم وإذا ما تكلموا بقصد الرد تحاشوا ما ينافي أصل الفكرة ويناقضها، إذ يزعمون، أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يشرع الجهاد إلا للدفاع عن الذات والهوية، وهذا ما فندناه وبيناه آنفاً.

أما لرد هذا الافتراء على وجوه المغرضين من الكفار ومن نحا منحاهم، فإننا نقول إن حمل السيف على الكفار ومبادأتهم بالقتال لا يعني إكراههم بالقوة على اعتناق الإسلام كما تزعمون، لأن الله ـ عز وجل ـ منع هذا الإكراه ولم يجوزه إذ يقول: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾، فإن هذا النص يوضح أن حمل السيف على الكفار لم يكن حملاً من أجل إكراههم على اعتناق الإسلام بالقوة وإنما كان من أجل تطهير الأرض من أنظمتهم الكافرة وطغيانهم على الناس، فكان السيف إذاً من أجل التطبيق والتنفيذ وليس للإكراه والاعتناق، وبمعنى آخر كان من أجل حكم الناس بشرع الله وتحريرهم من حكم البشر. وللناس من بعد أن يختاروا بين الكفر والإيمان.

وهنا لا أريد أن أتوسع كثيراً في الرد على تهمة القهر والإكراه لأنها تهمة واهية ولا تحتاج منا إلى عناية كبيرة واهتمام زائد، ويكفي للرد على افتراءات هؤلاء السفهاء وادعاءاتهم الباطلة أن نفحمهم بما جاء به التاريخ من حقائق وشهادات مدونة في الكتب النزيهة. وأكبر دليل على ذلك هو واقع النصارى واليهود الذين عاشوا تحت ظل الدولة الإسلامية وكانوا فيها من أهل

الذمة، فإنهم يعترفون بأنهم لم يضطهدوا من أجل دينهم، ولم يدع أحد منهم أنه أكره على اعتناق الإسلام بالقوة، بل لا زال أكثرهم إلى يومنا هذا على دين آبائه وأجداده الأقدمين، منذ الخلافة الإسلامية. فأين يوجد هذا الإكراه والحمل بالقهر على ترك دينهم وما يعتقدون، وأين محاكم التفتيش التي سمعنا عنها في العالم المسيحي.

ولذا نقول لإخواننا إننا لا نرى سبباً منطقياً لهذا الحرج، فضلاً على أن الإسلام يعلنها صراحة ولا يخفيها على الناس إذ يقول تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾.

ثم لماذا هذا الحرج والمبدأ الرأسمالي يتحدث بكل صراحة عن الاستعمار ويعتبره طريقة إيجابية لنشر مبدئه. ويكفيكم شهادة ما يصيب المسلمين من دول الكفر الاستعمارية كالغارات والهجمات التي تقوم بها على شعوب العالم الإسلامي، مثل الشعب الليبي والسوداني والعراقي وفي كشمير والبوسنة وكوسوفا والشيشان وغيرها، وكذلك المبدأ الاشتراكي ومنه الشيوعي الذي يرى في إحداث الثورات والقلاقل والحروب الأهلية، طريقة إيجابية لنشر مبدئه والإسراع في إحداث النقلة النوعية في شعوب العالم. فترى أصحاب هذين المبدأين لا يتحرجون في التصريح بذلك ويزعمون أنهم يقدمون خدمة جليلة للبشرية، بينما نحن كمسلمين نستثني الإسلام من هذه الدائرة ونتركه حبيساً داخل الأقطار المسلمة ولا نعمل على نشره في العالم لأن ذلك يحرج غيرنا!

إن هذا التحاشي المخذول لا نرى له مبرراً إلا التقاعس عن حمل الدعوة وإعلاء كلمة الله والتخلي عن تخليص البشرية من الاستعباد، كما بيّن ذلك ربعي بن عامر ـ رضي الله عنه ـ في مناقشته لرستم إذ قال له: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَن قَبلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نقضي إلى موعود الله.

ولكن ماذا عسانا أن نقول لهؤلاء المتخاذلين الذين يريدون تدنيس شرف هذه الأمة الشريفة التي تربت على تعاليم الإسلام وإرشاداته بما يزعمون من سفاهات التسامح والحوار مع العدو الكافر. فهذا الموقف هو ذاته موقف المنافقين من الجهاد قال تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾، فهؤلاء يريدون شراء سخط الله عليهم مقابل رضاء الكفار عنهم: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾، ولقد ذهبت الدناءة بالحكام وأعوانهم إلى حد التزلف والتملق للكفار فزعموا أنهم (أي الكفار) إخوانهم في الدّين؟ ويا ليت الأمر يقف عند الحكام الخونة وأتباعهم ولا يزيد عن ذلك، بل إن بعض المحسوبين على المسلمين من تلكم الحركات المشبوهة يتبعونهم في هذه المؤامرة الخبيثة. فمثلاً نحن الجالية الإسلامية ببلاد المهجر يسعى الغرب الكافر إلى احتوائنا عن طريق هذه الحركات التي تنشط على ساحته، فما انفكت اللقاءات والمؤتمرات والمحاضرات تلقى هنا وهناك لتقنع المسلمين بأن يخلعوا من رؤوسهم فكرة مناقضة الكفار والقبول بفكرة الحوار ـ الهابط ـ، ولقد طالعتنا مجلة[٣] تصدر عن رابطة مسلمي سويسرا يدعي فيها أصحابها أن الجهاد الذي قام به المسلمون في السابق ضد الكفار ليس إلا صداماً مؤسفاً؟ يقول صاحب المقال وهو الدكتور عز الدين إبراهيم في مقاله الذي عنونه بـ [رؤية إسلامية للحوار الإسلامي المسيحي] ما نصه: «... وتابع المسلمون هذا الحوار بالمشافهة والكتابة، لا يكادون يفترون عنه إلا في فترات الصدام المؤسف بين أتباع الدينين...»[٤] ومعنى ذلك أن هؤلاء المتقاعسين يرون أنفسهم أكثر تحضراً من السلف الصالح الذين كانوا يفهمون الجهاد بأنه مبادأة الكفار بالقتال. وهم بهذا

المنطق السلبي يريدون تعطيل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾، فضلاً على أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أي أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل نبيه رحمة للعالمين لكي يحررهم من ظلمات الجهل وتسلط الطاغوت، وذلك ما بينه كل المجاهدين لمختلف حكام الأرض حينما قدموا عليهم لتحرير رقاب البشر من ربقة استعبادهم، فهل من بعد هذه الرحمة المهداة للبشرية من رحمة تساويها؟ فكيف يريد هؤلاء الجهلة تعطيلها؟

وبعدُ، فاعلموا أيها المسلمون أن الجهاد ماضٍ إلى يوم الدين لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر. فإن تخاذلنا نحن أبناء هذا العصر فإن الله كفيل بإرسال رجال من ورائنا يحبونه ويحبهم فيوفون بعهدهم الذي عاهدوا الله عليه ويخرجون للجهاد في سبيله، وستنطلق بإذن الله جيوش الإسلام من جديد لتركض على الأرض في اتجاه روما وفرنسا ومنها إلى بريطانيا رأس الكفر وستصل بإذنه إلى البيت الأبيض كما وصل من قبل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - إلى بلاط كسرى، ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ صدق الله العظيم ❑

خالد إبراهيم العمراوي
سويسرا

(١): مغني المحتاج، للشيخ محمد الشربيني الخطيب، شرح المنهاج (للنووي) ج٤/٢٢٣.
(٢): أنظر الجامع الصغير للسيوطي.
(٣): مجلة ــ الوفاق ــ ثقافية إسلامية جامعة، تصدر عن رابطة مسلمي سويسرا.
(٤): المصدر نفسه، العدد الرابع من السنة الأولى: صفحة ٦.

مفهـــوم الثقـــة

الثقة تعني في اللغة الائتمان، جاء في لسان العرب "وثق به ائتمنه، وفي القاموس وثق به كوَرِث ثقةً وموثقاً ائتمنه، وهي غير الوَثاق أو (وثاق) بمنزلة الرباط، والميثاق العهد".

والثقة في واقعها تعني القناعة المتكورة بصحة الشيء وصدقه، وهي تأتي من تكرار ثبوت صحة الشيء وصدقه، وتذهب وتنعدم من تكرار ثبوت عدم صحته وصدقه، سواء في ذلك الثقة بشخص ما أم جماعة أم قيادة أم مبدأ، فحتى تتحقق الثقة بمفهومها الصحيح، لا بد من أمور ثلاثة، وهذه الأمور: الواثق والموثوق به، والأمر الثالث تكرار ثبوت الصدق والصحة بالبرهان على الموثوق به. ولا يكفي مجرد الشعور بالصدق والصحة، كأن يُجعل الهوى والمزاج والمحبة والمشاعر الدافع لمتابعة الموثوق به ويجعل الكره والمزاج حائلا بينه وبين الموثوق به، كما هو حال الكثير من أتباع الحركات والمنظمات العاملة في الساحة، وكذلك ثقة الأبناء بالآباء فهي مبنية على الشعور فقط، بل لا بد من تكرار ثبوت الصدق والصحة بالبرهان إلى أن تصل إلى درجة البداهة، فإذا وصلت إلى هذا الحد فإنها تحصل الثقة التي يصعب زعزعتها رغم أجواء الشك والتشكيك وذلك لكونها بنيت على البراهين العقلية إضافة إلى الشعور، هذا هو الذي يجعل الثقة بعيدة عن مهب الريح، ويحافظ ويحمي الكيان من التفكك والخلل.

ومفهوم الثقة أمر ضروري في حياة الفرد والدولة والأمة والأحزاب والحركات في سيرها ونهضتها والحفاظ على كيانها ووحدتها، وذلك أن الثقة تعزز مفهوم الطاعة والانضباط والوحدة، وزعزعة الثقة تؤدي إلى الخلل في كيان الأمة والدولة والمجتمع، ويؤدي إلى الانقسام والتشرذم والتفكك فيها ويسير بها إلى الهاوية وخطر الفناء.

والداء الذي أصاب الأمة الإسلامية هو زعزعة الثقة بأفكار وأحكام الإسلام ووصل الحال بالأمة إلى هاوية الفناء. فزعزعة الثقة أدى إلى الانقسام في الدولة والأمة والتشرذم في المسلمين والتفكك في ربوعها وأقطارها.

وما لم يع المسلمون الآن وخاصة حملة الدعوة على هذا الداء ويعملوا بجد ودأب متواصل في القضاء عليه بإعادة الثقة بأفكار الإسلام وأحكامه باعتبارها أفكاراً وأحكاماً إسلامية وباعتبارها وحدها الصالحة، وما لم يجعلوا الوقائع والحوادث تنطق بصحة أفكار الإسلام وأحكامه وصدقها على الأساس السياسي فإن خطر الفناء سيشرف على الأمة، علاوة على ما هي فيه من تفكك وتشرذم وانقسام.

هذا هو الواقع الصحيح لمفهوم الثقة، وهذه هي آثاره التي تجعل الأمة في مأمن من الانقسام وهو ثقتها بمبدئها وقيادتها المخلصة، وتبقيها في حصن حصين رغم أجواء الشك والتشكيك ❑

سَـلامُ الـهُـون

أَطْبَـقَ الذُّلُّ عَلَيْـنَا وَطَـفـا ... فَوْقَ مَنْ بِالْـهُـونِ زَادُوا شَغَفا

فَهْوَ قد لاقى خُنوعـاً منْـهُمو ... وقُصُورُ القومِ أَضْحتْ صَفْصَفا

والتَّمـاثيلُ الـتي في جوفِـها ... مَرَّ فيها النـومُ حِيناً وغَفا

يَشهدُ الصَّمتُ الذي قد زانَـها ... أَنَّ أهلَ الدّورِ مِنْ أهـلِ الوفـا

كمْ يُلاقي عند مَـنْ مَـرَّ بهِـمْ ... في قُصُورِ العارِ حِسّـاً مُرهَفـا

فَهُمو لم يُبْصِـروا دونَ الـورى ... مَنْ أَسـاءُوا لِلنـبيِّ المصطَفـى

وبتـولٍ يَشـهدُ الدهـرُ لهـا ... زادَهـا ربي بِعِيسَـى شَـرَفا

هلْ عَدِمْتمْ في الورى عيناً تَـرى ... فَلَعَمْرِي ما بـدا مِمَّـا خَفـا

كانَ مِنْ قبـلُ عـدوّاً خائنـاً ... مَنْ يُرَى باسْـمِ عَـدُوٍّ هَتَفـا

فَغَدَتْ (شالومُ) مِنْ (بـاراكَ) إنْ ... نالها الأقـوامُ عُـدَّتْ شَـرَفا

ذلكَ الخـنُّـوصُ ما صانَعْتَـهُ ... لم يَـزِدْهُ اللِّـينُ إلاّ صَلَفـا

والأُلى شَـبُّوا علـى تلمـوده ... في اجْتِرَاحِ السُّوءِ زادُوا سَـرَفا

إنَّ أبنـاءَ الأفـاعِي عصبـةٌ ... دنَّسُوا الأقصى وداسُوا المصْحَفـا

وردودُ الفعـلِ مِـنْ أَتْباعِـهِمْ ... يَغْفِرُ الرحمـنُ مـا قـدْ سَـلَفا

وسِـباقٌ نحـوَ سِـلْمٍ قـاتِل ... إنْ يُحِسُّوا، مِثْلِ سُـمٍّ زَحَفـا

فسَـلامُ الهـونِ يَبْقَـى نَتِنـاً ... لو بمـاءِ الـوَرْدِ سَـبْعاً نُظِّفـا

والموالي العُـرْبُ كـلٌّ طَيِّـعٌ ... طَرَفٌ للسِّـلْمِ يدعُـو طَرَفـا

أَيُّ سِلْمٍ مَـعْ عَـدُوٍّ غـاصِبٍ ... في دماءِ الأهـلِ يَزْهُـو شَـغَفا

أَيُّ سِـلْمٍ مَـعْ عَـدُوٍّ مـاكِرٍ ... هل تَرَى لِلمَكْرِ عهداً أو وفـا

يا صِحَابي أَقْبِلُـوا ثُـمَّ اسمعُـوا ... هاكُمو في القَوْمِ قَـوْلاً مُنْصِفـا

إنَّ مَـنْ خَابُوا وَخَانُـوا أُمَّـتِي ... لَعْـنَةُ اللّـهِ عَلَيْـهِـمْ وَكَفـى

كلمة أخيرة

الخطوط السياسية

الخطوط السياسية مصطلح جديد يعني به قائلوه الولاءات السياسية المتعددة الموجودة في بلدٍ ما أو في بلدان متعددة محلياً ودولياً.

وإذا دققنا في الخطوط السياسية والولاءات المتعددة التي تنتمي إليها المجموعات السياسية المحلية يمكن القول:

إن هناك ولاءات متعددة، وعمالة متنوعة، وخطوطاً ملونة من رأس الهرم إلى قاعدته، وفي كل المؤسسات الرسمية والخاصة، ويمكن تشبيه ذلك بقطع الأرض المفروزة للبيع، فبيع بعضها وبقي البعض الآخر برسم البيع.

هناك زعماء ينتمون إلى خطوط سياسية دولية وهناك بعض المفكرين والمشايخ والشعراء والفلاسفة ورجال القانون والصحف والمجلات والإذاعات والتلفزيونات (الأرضية والفضائية) والجامعات والمعاهد والمدارس والنوادي...الخ.

ولا يخفى على البعض أن غالبية المنتمين إلى بعض المؤسسات «محسوبون على الخط الفلاني» وغالباً ما تتردد على ألسنة الناس بشكل عفوي بعض العبارات التي تحدد التبعية للشخص أو المؤسسة فيقال مثلاً: فلان محسوب على خط فلان أو فلان محسوب على الخط الأميركي، أو المؤسسة الفلانية محسوبة على الخط الفلاني، أو فلان ينتمي إلى الخط المعارض أو الموالي، والخط المعارض أيضاً محسوب على خط خارجي، وكذلك الخط الموالي وهكذا...

إذن الكل محسوب على جهة محلية أو دولية والمحلية هي بدورها محسوبة على جهة خارجية وتتقاطع الخطوط والمصالح وتتضارب فتحصل المشاكل والمواجهات السياسية وقد تتحول إلى مواجهات عسكرية فتسيل الدماء فداءً لأصحاب القرار في عواصم القرار العالمية ويحسب المتقاتلون أنهم يخدمون أهدافاً محلية يتخذون إزاءها قرار الحياة أو الموت بوصفها قضية مصيرية، فإذا بالمصير الذي يتحدثون عنه هو تكريس تبعية البلد بأكمله إلى الجهة الدولية التي أشعلت الحريق لتحقق الهيمنة على القوى السياسية في البلد وتحويل الخطوط المتقاطعة إلى خطوط ذات اتجاه واحد ولون واحد من مستوى مختار، مروراً بمستوى عضو بلدية إلى نائب إلى أعلى قمة في الهرم السياسي.

إن ما يثير الشفقة على هؤلاء، أن بينهم العارف بكل الملابسات، فيخوض اللعبة السياسية القذرة عن تصميم وسبق إصرار، ومن بينهم من تخدعه الشعارات، فيصدق أنه «يناضل» من أجل قضية «وطنية أو قومية» حسب زعمه، ويعتبر نفسه من المخلصين العاملين للوقوف في وجه العدو الخارجي، فإذا به يصبح حجراً ضمن الأحجار التي يتلاعب بها الكبار لتحقيق مصالحهم ومآربهم الخبيثة، وهيهات أن يصحو هؤلاء من غفلتهم وبلادتهم الساذجة ❑

التضامن في الهرولة التطبيعية

- هذه لائحة بأعمال الهرولة التي تمت خلال أسبوع فقط وذلك تحت عنوان التضامن العربي:
- ذكرت صحيفة معاريف الإسرائيلية أن إسرائيل والبحرين توصلتا إلى اتفاق حول فتح مكاتب تمثيل في الشهر المقبل، وقال سياسي إسرائيلي للصحيفة: إن البحرين تلمح لنا منذ فترة طويلة حول رغبتها في إقامة علاقة علنية لكنها لم تجد حتى الآن الفرصة لذلك.
- ذكرت وكالات الأنباء أن خالد نزار وزير الدفاع الجزائري السابق توقع أن تقيم الجزائر علاقات مع إسرائيل معتبراً أن قضية تطبيع العلاقات مع الدولة العبرية قضية وقت.
- اليمن استقبلت وفدين يهوديين بعد أن أعطتهم سفارتها في أميركا جوازات مؤقتة بدل جوازات سفرهم الإسرائيلية، وهي تتوقع أن تستقبل وفداً يهودياً ثالثاً.
- نشرت صحيفة الحياة ٢٠٠٠/٠٤/٠٤ أن حزب العمل الإسرائيلي أكد أن أمينه العام «رعنان كوهين» تلقى دعوة رسمية لزيارة طرابلس الغرب.
- إن حبر مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في بيروت في ٠٣/١١ لم يجفّ بعد، ذلك المؤتمر الذي صدر عنه بيان ختامي للتضامن مع لبنان وهدد إسرائيل بوقف التطبيع والهرولة إذا استمرت في تهديد لبنان وقصفه، وبعد ساعات من صدور البيان قامت الطائرات الإسرائيلية بقصف عدة مناطق في لبنان وتكرر ذلك عدة أيام دون أن يرف للمؤتمرين جفن، وهذا يتوقعه الناس من أمثال هؤلاء وأولئك، ولم يفاجأوا بالمؤتمر ولا بالبيان الختامي ولا بقصف اليهود. فالأكاذيب لم تنطل على أحد.
- إن المسلمين لا يكتفون بالتلهي بذيول الحدث عن الحدث نفسه. أي أنهم لن ينشغلوا بمقاومة التطبيع مع العدو دون القضاء على العدو نفسه، فالواجب عليهم التخطيط لإرجاع حيفا ويافا وعكا وصفد وعسقلان واللد والرملة والقدس وبيسان.
- نعم لن ينشغل المسلمون بذيول القضية عن القضية نفسها، بل ينطلقون لإزالة الخطأ من جذوره، فالخطأ التاريخي يجب أن يصحح، ولهذا فليعمل العاملون ❑